كتاب الإسرا إلى مقام الأسرى

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

قال العبد الفقير إلى الله تعالى مسترق الحضرة الإلٰهية ومملوك الحضرة الربانية ختم الله له بالحسنى.

الحمد لله الذي سلخ نهاره من ليله المظلم، واطلع فيهما شمسه النيرة وبدره المعتم، ونصبهما دليلين على الموضح والمبهم، حمداً أولياً بلسان القدم، يربي على إدراك نهاية أقصى غاية جلال جمال كمال صريف القلم، في ألواح صدور الكلم، المرقومة بمداد نون الجود والكرم، المنزهة من وقت فتق رتق سمائها بجميع الإدراكات عن العدم، الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، والموقف الأقدم، والشكر له على مقتضى ما مضى من حمده وتقدم، شكراً باللام لا بالياء فإنه يتصرم.

والصلوات على أول مبدع كان ولا موجود ظهر هناك ولا نجم، فسمى مثلاً وقد أوجده فرداً لا يتقسم.

في قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١] وهو العالم الفرد العلم، وأقامه ناظراً في مرآة الذات فما اتصل بها ولا انفصم، فلما بدت له صورة المثل آمن بها وسلم، وملكه مقاليد مملكته واستسلم، فإذا الخطاب أنت الموجود الأكرم، والحرم الأعظم، والركن والملتزم، والمقام والحجر المستلم، والسر الذي في زمزم، وهو لما شرب له فافهم، والمشار إليه بواسطة التركيب «المؤمن مرآة أخيه» فلينظر ما بدا له فيها وليتكتم وعلى آله وصحبه الطاهرين وسلم.

أما بعد فإني قصدت معاشر الصوفية، أهل المعارج العقلية، والمقامات الروحانية، والأسرار الإلٰهية، والمراتب العلية القدسية في هذا الكتاب المنمق الأبواب المترجم بكتاب الإسرا إلى مقام الأسرى، اختصار ترتيب الرحلة من العالم الكوني إلى الموقف الأزلي.

وبينت فيه كيف ينكشف الكتاب بتجريد الأبواب لأولي البصائر والألباب، وإظهار الأمر العجاب، بالإسراء إلى رفع الحجاب.

وأسماء بعد المقامات إلى مقام من لا يقال، ولا يمكن ظهوره بالعلم ولا بالحال، وهذه معارج أرواح الوارثين، وسنن النبيين والمرسلين.

معراج أرواح لا معراج أشباح، وإسراء أسرار لا أسوار رؤية جنان، لاعيان وسلوك معرفة ذوق وتحقيق، لا سلوك مسافة وطريق إلى سمٰوات معنى لا مغنى، وصفت الأمر بمنثور ومنظوم، وأودعته بين مرموز ومفهوم، مسجع الألفاظ ليسهل على الحفاظ، وبينت الطريق، وأوضحت التحقيق، ولوحب بسر الصديق، ورتبت المناجاة بإحصاء بعض اللغات، وهذا حين ابتدى، وعليه أتوكل وبه أهتدي.

باب سفر القلب

قال السالك: خرجت من بلاد الأندلس، أريد بيت المقدس، وقد اتخذت الإسلام جواداً، والمجاهدة مهاداً، والتوكل زاداً، وسرت على سواء الطريق، أبحث عن أهل الوجود والتحقيق رجاء أن أتبرز في صدر ذلك الفريق.

قال السالك: فلقيت بالجدول المعين، وينبوع أرين، فتى روحاني الذات، رباني الصفات، يومىء إلي بالالتفات.

فقلت: ما وراءك يا عصام، قال: وجود له انصرام، قلت: من أين وضح الراكب قال: من عند رأس الحاجب، قلت له: ما الذي دعاك إلى الخروج، قال: الذي دعاك إلى طلب الولوج، قلت له: أنا طالب مفقود، قال: وأنا داعٍ إلى الوجود، قلت له: فأين تريد، قال: حيث لا أريد، لكني أرسلت إلى المشرقين، إلى مطلع القمرين، إلى موضع القدمين، آمراً من لقيت بخلع النعلين، قلت له: هذه أرواح المعاني، وأنا ما أبصرت إلا الأواني، فعسى حقيقة القرآن والسبع المثاني.

قال: أنت غمامة على شمسك فاعرف حقيقة نفسك، فإنه لا يفهم كلامي، إلا من رقا مقامي، ولا يرقى سوائي فكيف تريد أن تعرف حقيقة أسمائي، لكن يعرج بك إلى سمائي، ثم أنشدني وحيرني:

أنا القرآن والسبع المثاني ... وروح الروح لا روح الأواني
فؤادي عند معلومي مقيم ... أشاهده وعندكم لساني
فلا تنظر بطرفك نحو جسمي ... وعد عن التنعم بالمعاني

وغص في بحر ذات الذات تبصر عجائب ما تبدت للعيان
وأسراراً تراءت مبهمات منسترة بأرواح المعاني
فمن فهم الإشارة فليصنها وإلا سوف يقتل بالسنان
كحلاج المحبة إذ تبدت له شمس الحقيقة بالتداني
فقال: أنا هو الحق الذي لا يغير ذاته من الزمان

فأخبرني أيها الصديق، أين تريد أرشدك على الطريق، ومن أين أقبلت، وإلى أين أملت، قلت: خرجت فاراً من ذلول، أريد مدينة الرسول، في طلب المقام الأزهر، والكبريت الأحمر، فقال لي طالباً مثلي، أما سمعت قولي:

يا طالباً لطريق السر تقصده ارجع وراك ففيك السر أجمعه

بينك وبين مطلوبك أيها السر اللطيف، ثلاثة حجب من لطيف وكثيف، الواحد مكلل بالياقوت الأحمر وهو الأول عند أهل التحقيق، والآخر مكلل بالياقوت الأصفر وهو الثاني الذي اعتمد عليه أهل التفريق، والثالث مكلل بالياقوت الأكهب وهو الذي اعتمد عليه أهل البرزخ في الطريق، فالأحمر للذات والأكهب للصفات، والأصفر للأفعال وهو حجاب الانفصال.

ثم قال لي: من كان رفيقك في السفر، قلت: الصحيح النظر الطيب الخبر، قال: هو الرفيق الأعلى، فهل أوقفك في الموقف الأجلي، قلت: لست أعلم هذه الأصول، لكني ابتغيت الوصول، فجعلت همّي أمامي، والطور إمامي، فسمعت لا يراني، إلا من سمع كلامي فخررت صعقاً، وتدكدك جسمي فرقاً، وبقيت طريحاً بالوادي، وذهبت النعلان وبقي زادي، فأما لم أر كوناً آنست عيناً.

باب عين اليقين

قال السالك فنادتني تلك العين، أيها الفتى إلى أين، قال: قلت: إلى الأمير، قالت: عليك بخدمة الكاتب والوزير، هما يدخلانك على مرادك، وترى حقيقة اعتقادك، قلت لها: وأين محل الكاتب والوزير، قالت: عين نزولك عن السرير، وتجريدك عن الأينية، ونزعك رداء الأمنية وخلعك الألية، ووقوفك في الفرق والبينونية، ودخولك في الطينية، فإنك لا ترى الواحد إلا بالواحد، وهناك يتحد الغائب والشاهد، غيبته حجابك عنك، والوزير يمدك به منه، هو خليفته في أرضه وسمائه، عالم بأسرار صفاته وسمائه، أسجد له الملائكة أجمعين، ونزهه عن سجود اللعين، فعدم من أبى وحسد وبقي الخليفة الأحد، وهو الملك والخليفة، ومجتمع الحقائق الشريفة، فإن وصلت إليه ونزلت عليه أكرم مثواك وحفظك

وتـ لاك وأدخلك على مولاك.

باب صفة الروح الكلي

قال السالك: قلت: انعتيه لي لأعرفه إذا رأيته، وأخر له ساجداً إذا أتيته، قالت: ليس ببسيط ولا مركب، ولا يقصد طريقاً ولا يتنكب، منزه عن التحيز والانقسام، مبرأ عن الحلول في الأجسام حامل الأمانة الألية، ومجتمع الصفات العلية، مواده إلى الأجسام الموضوعة بين يديه، كمواد مستخلفة إليه، ليس بداخل بالذات، ولا بخارج بالصفات، هو وصف معروف، والصفة لا تفارق الموصوف، محدث صدر من قديم غني، وهبه كل سر خفي، ومعنى جليل خفي، ليس له فيء ولا كمثله شيء، هو مرآة منورة، ترى حقيقتك فيها مصورة، فإذا رأيت صورتك، قد تجلت لك فاعلمها فتلك بغيتك، قد وصلت إليها فالزمها.

فلم أزل أصحب الرفاق، وأجوب الآفاق، واعمل الركاب، واقطع اليباب، وامتطي اليعملات، وتسري ببساطي الذاريات، واركب البحار، واخرق الحجب والأستار، في طلب علة الصورة الشريفة المدعوة بالخليفة، فما تجلت لي صورتي مذ فارقت العين، حتى رأيتك فرأيت نفسي دون مين، فخبرني من أنت، من حيث أنت.

باب الحقيقة

قال السالك فأنشد وقد أرشد:

يا سائلي من أنا علماً وتصويراً	أنا الكتاب الذي سماه مسطوراً
رقم تضمنه رق فتبصره	في صفحة الطور مطوياً ومنشوراً
بنى الإله له في السقف تكرمة	بيتاً رفيعاً بسر السر معموراً
أجرى له الله صوناً من لطائفه	بحراً يطوف ببيت الله مسجوراً
فالرقم علم بأقلام الإرادة في	رق تضمن معنى النار والنورا
والنفس بيت وسر الصدق ساكنه	به يكون كمال الجود مشهوراً
أنا الرداء أنا السر الذي ظهرت	بي ظلمة الكون (إذ) صيرتها نوراً
انظر وجودي من ذات الإله تجد	حقاً يقيناً ومني باطلاً زوراً

قال السالك: ثم قال إلي: أنا الخليفة أيها الطالب، وأنا الوزير والكاتب، خليفة الذات، في تدبير الأفعال من كرسي الصفات. أنا المثل وأنت المثال، والثاء الثوب الذي مال، كاتب من حيث أن أكتب في صحائف قراطيس العقول، سر كل منقول ومعقول، وزير من حيث إن أحمل ثقل الأجسام، للعرض على العلي العلام، فذاتي واحدة، وصفاتي

متعددة فاسجد إلي إن أردت الأسماء، واعلم أن الاسم يدل على المسمى، والكل فيك، فاقنع بما يكفيك، وأمسك عما لا يعنيك، ثم قال: عجلاً، وأنشد مرتجلاً:

هيهات ما الوارد والصادر ... إلا لأمر شاءه القادر
يا ناظر الحلة سوسها واحد ... صرفها الفلك الدائر
فناطق من ذاته باطن ... وناطق من وصفه ظاهر
قبولها الصورة من ذاتها ... والعين منها قبله عابر
وجودها وقف على سورها ... وجود معنى شاءه القادر
يصرفُ الأنجم في عالم ا ... لأفلاك ذا آتٍ، وذا سائر
وشمسه في شرقه ترتقي ... وبدره في غربه غائر
صرف في المركز أحكامه ... فعاقل أو أهوج حائر
والبحر قد فاض على شطه ... أمده ذا القمر الزاهر
والشمس في الأكوان فعالة ... يثني عليها الغصن الناضر
والجو إن قام به صيلم ... جاد عليه سحبه الهامر
فإن يكن ري فمن ذاته ... قد ارتوى الأول والآخر
فالغير في الأوصاف والكون في الـ ... ـذات فساد حجل طاهر
من لبس إيجاد جسوم بدت ... فيما يراه البصر القاصر
والعقل من أين لي من ... علم لعين حاكم قاهر
إن زلزلت أرضي وإن كورت ... شمسي من الناظم والناثر
فانظر إلى الحكمة مجهولة ... غطى عليها شفعنا الساتر
صلى عليه الله من واحد ... نور على أرواحنا باهر
ما استبق البدر وشمس الضحى ... وانتظم الأول والآخر

قال السالك: فلما أكمل إنشاده، وضرب بعصا إعجازه أعواده، خررت بين يديه ساجداً، واعتكفت في حضرته عابداً، وقلت: أنت البغية والمني، والسر المتمنى.

باب العقل والأهبة للإسراء

قال السالك: ثم احتجبت عني ذاته، وبقيت معي صفاته فبينما أنا نائم وسر وجودي متهجد قائم جاءني رسول التوفيق، ليهديني سواء الطريق، ومعه براق الإخلاص عليه لبد الفوز ولجام الإخلاص، فكشف عن سقف محلي، وأخذ في نقضي وحلي، وشق صدري

بس دن السكينة، وقيل لي: تأهب لارتقاء الرتبة المكنية، وأخرج قلبي في منديل، لآمن من الت يل، وألقى في طست الرضا، بموارد القضا، ورمى منه حظ الشيطان، وغسل بما ﴿إِنَّ بَـ ـدِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ﴾ [الحجر: ٤٤].

ثم حشى بحكم التوحيد، وإيمان التفريد وجعل له خدم التسديد، وأعوان التأييد، ثم ختم عليه بخاتم الإصابة، وألحق بخير عصابة، ثم خيط صدري بمنصحة الأنس ونصاح التقديس عن درن النفس، ثم رملني بثوب المحبة وامتطيت براق القربة، وأسرى بي من حرم الأكوان إلى قدس الجنان، فربطت البراق بحلقة بابه ونزلت عن متنه وركعت في محرابه، ثم زج بي من صفاه الصفا في الهوى، فسقط عن منكبي رداء الهوى.

وأتيت بالخمر واللبن، فشربت ميراث تمام اللبن، وتركت الخمر حذراً أن أكشف السر بالسكر، فيضل من يقفو أثري ويعمى ولو أتيت بالماء بدلهما لشربت الماء خلاصة ميراث التمكين، في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

وأما لو كان المشروب عسلاً، ما اتخذ أحد الشريعة قبلاً، لسر خفي في النحل، فيه هلاك القلوب بالمحل.

قال السالك: ثم أشرفت من الهوى على الوادي المقدس، فقال لي الرسول: «اخلع نعليك ولا تيأس»، فخلعت ثم ارتحلت فاستمعت:

خلعت نعلي بوادي العلى ... وجئت بالباء لميعاد
وغبت بالدال عن الصاد ... فلست رياناً ولا صادي
ولست بالضاحك وصفاً ولا ... أبكي على رحلي ولا زادي
وامتحقت إنيتي إذ بدت ... إنية الوتر من الوادي
وصرت بعد الشفع وترابه ... وانعدم السائق والهادي
وصارت الفرقة مجموعة ... واجتمع الهادي مع الحادي
وأنت مولى في بناة العلى ... وصارت الأحيان أعيادي
وقلت بالعلم لهم مفصحاً ... أخاطب الحاضر والبادي

باب النفس المطمئنة

وهو البحر المسجور

قال السالك: ثم ارتقيت مع الرسول على أوضح سبيل فأشرفت على البحر المسجور، فتيسر كل عسير، ورأيت في لجة ذلك البحر المحيط، سفينة العالم البسيط فنظرت في

تحصيلها فقيل لي: حتى تقف على جملتها وتفصيلها، هذه سفينة العارفين وعليها معارج للوارثين، فرأيت سفينة ذاتها روحانية، وعددها سماوية أرحلها القدمان، سكانها سكون الجنان، فراها اللطائف، صورانها المواقف، لفظتها المعارف، ثقتها اليقين، مرساها القوة والتمكين شراعها الشريعة، صابورها الطبيعة، حبالها الأسباب، طورامها مجازف اللباب، رئيسها النقل، مقدمة العقل سحر لوها الأفعال أنكلها السلامة من النكال، بحارها الموارد، وسفنها الأسرار والفوائد، مقدمها العناية في الأزل، مؤخرها تقديس الهمة في الأبد عن طوارق العلل، بحرها الأفكار، ريحها الأذكار، موجها الأحوال، دعاؤها الأعمال، السفينة بظهور الألف من بسم الله مجراها، وإلى ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ﴾ منتهاها، فهي تجري في بحر المجاهدة إلى أن ألقتها أرواح العناية بساحل المشاهدة، فلما عدت بحر الاغترار، وسلمت من لجج ثبج الأغيار، مد الرائس رقيقته ورفع بمنظوم عجيب عقيرته.

لما بدا السر في فؤادي ... فهي وجودي وغاب نجمي
وحال قلبي بسر ربي ... وغبت عن رسم حسن جسمي
وجئت منه به إليه ... في مركب من سني عزمي
نشرت فيه قلاع فكري ... في لجة في خفي علمي
هبت عليه رياح شوقي ... فمر في البحر مر سهم
فجزت بحر الدنو حتى ... أبصرت جهراً من لا أسمي
وقلت: يا من يراه قلبي ... أضرب في حبكم بسهمي
فأنت أنسي ومهرجاني ... وغايتي في الهوى وغنمي

قال السالك: ثم عرج بي حين فارقت الماء إلى أول سماء.

سماء الوزارة وهي الأولى

(آدم)

قال السالك: استفتح لي سماء الأجسام فرأيت سر روحانية آدم عليه السلام، وعلى يمينه أسودة القدم، وعلى يساره أسودة العدم فعانقني حبيباً، وسألته عن شأنه فقال مجيباً: خرجت يا بني من بلاد الغرب أريد مدينة يثرب فسرت أربعين ليلة سير من جر في المجون ذيله، فلما وصلتها، وانقضت الأسباب التي أملتها، قلت لبعض رفقائي وأخص أصدقائي: هل في بلادكم مطرف يصمد إليه أو مدرس يقعد بين يديه.

فقال لي: هناك مدرس شديد البحث والنظر صحيح النقل والخبر يكنى أبو البشر،

يدرس بمسجد القمر، في أمره عجاب، ليس بينك وبينه حجاب، فهبطت كمنتشط من عقال، أو شارد خيفة أعباء وأثقال، ودخلت عليه في درسه، فاستنزلت روحانية نفسه، فرأيت شيخاً وضي البهجة فصيح اللهجة فقام إليّ تعظيماً وأنزلني تكريماً، فلما أكرم نزلي، وقال لأصحابه هذا من أهلي، فرموا إليَّ بأبصارهم واتخذوني من جملة إخوانهم وأنصارهم، فأدركني لذلك خجل أورث القلب عظيم فرق ووجل، ثم قال لي: من أين قلت له، من مجمع البحرين ومعدن القبضتين، قال لي: فإنك مني، قلت له: إياك أعني، قال: فبماذا تعددنا قلت له: بنفس ما اتخذنا ثم قلت له: يا سيدي عسى فائدة، أو حكمة زائدة أعرس بمغانيها، وأتخلق بمعانيها، قال: خذ إليك شرح الله صدرك ونور جنانك ووفر إنعامك وإحسانك، جذبني الحق مني وأفناني عني ثم وهبني الكل ليحلمني الكل، فلما أودعني حكمه وأوقف على كل سر وحكمة ردني إلي، وجعل ما كان علي مني بين يدي، واتخذني سجيراً واصطفاني سميراً، وصير لي عرشه سريراً والملك خادماً والملك أميراً.

فما قمت على ذلك برهة من الزمان لا أعرف لنفسي مثلاً في الأعيان، ثم قسمني شطرين وصير الأمر أمرين ثم أحياني وأراني ما حجبني عنه والهاني، فقلت: هذا أنا وليس غيري فحن النصف إلى النصف وصح الفرق بين الذات والوصف، فقلت: إلٰهي هذا الفيء لأي، قال: إذا رقمت بالقلم في اللوح وأفيض على مكتوبك من نور نوح ورفع الامتزاج ولاحت لعينك الأمشاج، علمت لأي، أوجدت لك هذا الفيء، فلما كتبت بالقلم في لوح القدم لاح لي سر القدم في وجه العدم وأنا الآن أدرس ما علمته وأبث لهؤلاء ما علمته ثم أنشد:

يا قمر الأسرار يا ملبسي ... غلالة من أخضر السندس
أصبحت معشوق ثرى يابس ... لولا لهيب النار لم ييبس
حبست فيه زمناً عاجلاً ... لذاك تدعي صاحب المحبس
رأست فيه بعلوم بدت ... فيك ولولا ذاك لم ترأس
فأنت تسري في ثمان وفي ... عشرين خناساً من الكنس
على جواد سابح صيغ من ... نحاس قاضي صنعة المفلس

قال السالك: ففرحت بما أودعني وسررت بما منحني، ثم قال لي: ارتق واستبق يبدو لك في السماء الثانية، ما أخفي من قرة عين في هذه الآنية.

سماء الكتابة وهي الثانية

عيسى

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال السالك: فاستفتح الرسول الوضاح، سماء الأرواح فنفخ في الصور الروح بمشاهدة المسيح فلما اتصلت حياتي بوجوده وتنعمت ذاتي بشهوده، وعم النور جهاته وزواياه وغمر به هيآته وسجاياه، وطوى بساط الظلام من بيوت الأجسام.

قال لي: مرحباً وأهلاً، وسعة وسهلاً، يا أيها السالك حقق ذاتي وانظر في صفاتي أنا الصادر من خزائن الجود والمفيض على أول موجود، لولاي ما علم الأسماء، ولا سيما قدراً على من سما بي نطق ومن أجلي خلق، بي فتق أرضه وسماؤه وعليّ قام عماده وبناؤه، ثم رد وجهه إلى فتى رائع الجمال ساطع البهاء، ممشوق القامة كالصعدة السمراء.

وقال لي: قم يا كاتب الإلهام خذ الدواة والأقلام واكتب في ديوان الأجسام عن أمر الإمام ما يسألك هذا الغلام فخرج إلى كاتبه ووزيره وحاجبه فعندما أبصرته مقبلاً قمت إليه مرتجلاً:

يا أيها الكاتب اللبيب أمرك عند الورى عجيب
قربك السيد المعلي فيممت نحوك القلوب
لما تغيبت عن جفوني تاهت على الظاهر الغيوب
لولاك يا كاتب المعاني ما كان لي في العلى نصيب
واكتب ظهير الأمان حتى يستأمن الخائف المريب

قال السالك: فقال: نعم ونعمى عين دون ريب ولا مين، قال ثم كتب، وأوجز ما أسهب ووافق المطلب بسم الله الرحمٰن الرحيم وصلى الله على الكريم هذا ظهير ولاية وأمان أمر به روح سيد الأرواح خليفة الرحمٰن لما تحقق لديه وثبت له عندما أوحى به إليه أنه إليه انتهت الدورة الآدمية، وضرب له بسهم في الدورة المحمدية، وإن سهمه يصيب قرطاسها، وعدله يقيم قسطاسها، فعندما علم أن سهمه لها مصيب، وله منها أوفر حظ وأكمل نصيب، كتب هذا الظهير الجسم إلى هذا الولي الكريم، عهد الله عليه وأمانته لديه بالنظر السديد فيما قلده والوفاء بما عليه عاهده، وقد حمله الخليفة أمانته عندما غلب على ظنه وفاءه وديانته

وعفافه وصيانته، ونفوذه في الأحكام وانتفاضه في مشكلات الأوهام، ووقوفه عند حدود الإمام.

فإن صير ظن الإمام علماً، وساس رعيته حرباً وسلماً، وعدل في قضاياه وأحكامه وتوزع في ولاته وحكامه، أبقيناه والياً، وأيدناه وإن عدل عن هذا الشرط عزلناه واستبدلناه وطلبنا له الوقوف عند ذلك والمشي برعيته على أسهل المسالك، وأنتم معشر الكافة عموماً وخصوصاً لا تجدون من دون الله محيصاً.

وها نحن قد قلدنا أموركم هزبراً سميدعاً وقصدناه أن يتحفكم بأسدسهم ويؤيدكم بأجرأ سهم فما قال فنحن قلناه وما فعل فنحن فعلناه، فبلساننا يكلم وعن ضمائرنا يترجم، ووادعناه على أن يحيي مواتكم ويؤلف شتاتكم ويؤمن بناتكم وينمي نباتكم، ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون، ويعرفكم أنكم إلينا ترجعون، وإن طالت المدة، وتضاعفت العدة، فقولوا: سمعنا وأطعنا، ولا تكونوا كمن قال من قبلكم: سمعنا وعصينا ففرقناهم أيادي سبأ وقتلناهم بالأهضاب والربا، وتبرناهم تتبيراً، وحقت عليهم كلمة العذاب فدمرناهم تدميراً، حتى ما تركت بالديار من أرم، وعم بلاؤها تبعاً وإرم.

فلا تتعرضوا بالمخالفة لسطوتنا ولا تستبطئوا عند اعتدائكم رسول نقمتنا، فكأن قد خلت بكم المثلات، وما توعدناكم به عند مخالفتكم آتٍ، وهنا نحن منتظرون لخطابه به بما يكون منكم وينقله إلينا عنكم، وكان ما كان وهو مصروف إليكم وإنما هي أعمالكم ترد عليكم إن خيراً فخيراً وإن شراً فشراً ـ ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧﴾ ـ ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۝٨﴾ [الزلزلة: ٧ ـ ٨] ـ ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ۝٣٨﴾ [المدثر: ٣٨] ـ ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ﴾ [آل عمران: ٩٧]، وعلى الله فليتوكل المتوكلون وصلى الله على خاتم النبيين والحمد لله رب العالمين والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

قال السالك: فأخذت ظهير الأمان وصرت بينه وبين مملكته ترجمان، فلما رأى عدتي فيما به قضيت، وإصابتي في كل ما حكمت وأمضيت، قال: نعم به جئت وأنا أجازيك، إذ لا نظير يماثلك، ولا عديل يوازنك، وإن فوق هذا المقام مقاماً عظيماً ومشهداً كريماً ومنزل فرح لا ترح هو مقام لكمال الجمال ومستقر الإجلال.

قال السالك: فارتفعت الهمة لطلبه وبادرت لاختراق حجبه.

سماء الشهادة وهي الثالثة

(يوسف)

بسم الله الرحمٰن الرحيم قال السالك: فاستفتح لي سماء الجمال ومعدن الجلال ففتحت وسلم وسلك لي زمام أمتها وسلم، فقصدت ساكن قصرها ورئيس مصرها، فرأيت بفنائه كافة أربابها فعدلت إلى خادم بابها، فسألته: ما الخبر؟ وما هذا الجمع المنتشر؟ فقال: نكاح عقد وعرس شهد.

قال: فشاورت عليه فأذن ودخلت عليه غير جزع ولا وهن، وبادرت بالسلام فرد وقص عني جناح الخجل وقد دخلت عرسه خدرها وأسبلت دوننا سترها، فقمت على ساق الثناء، وبدأت بذكر من له الأسماء الحسنى، وثنيت بالصلاة على من كان قاب قوسين أو أدنى، وثلثت بالثناء الأعطر الأحفل، على صاحب ذلك المحل.

وقلت: مرحباً بهذا الابتناء السعيد، والانتظام الجميل الحميد الذي عم سر القلوب وغمرها، وأهل المهامة وعمرها، سيدة البنات ومنيرة الظلمات، التي سحرت بابل، ورمتهم بنابل، فلم أر كأملاك بين أملاك، ولا كإرخاء لستور الأفلاك، على عرش السماك، ولا كشرف نبه على شرف أثيل، ولا كسعد أقرت له السعود بالتفضيل، ولا كنسبة آذنت باطراد الأمل، واقتران الشمس في بيت الحمل، هنيئاً بما اقترن من سعادات وانضاف من قطع حسن متجاورات، واتسق من أقمار مجد ونيرات، فالطيبات للطيبين والطيبون للطيبات، إليكموها ساعدكم السعد صفقة رابحة، وحالة مباركة صالحة، أهلاً للاغتباط، ومحلاً للارتباط، ودخولاً بسلام آمنين، ومبشر بالرفاء والبنين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين والحمد لله رب العالمين.

قال السالك: فعندما فرغت من الكلام وختمت بالصلاة والسلام، تحرك الستر قليلاً، وانبعث صوت كما هب النسيم عليلاً.

وقال:

ومن تكن الزهراء عرساً له فقد تتوج بالجوزاء وانتعل الشعرى

أيا زهرة الروض الممسك عرفه وهل زهرة أخرى تضاهي سنا الزهرا

قال السالك: فقلت لها: أما أنت فعرفتك ونعتك آنفاً ووصفتك وأريد منك أن تعرفيني بمقام سيدك هذا وخبره وتطلعيني على عجره وبجره.

فقالت: أيها الغريب العريب والطريف الظريف، فديتك بالطالب والطريف، على

الخبير سقطت وعند ابن نجدتها حططت لكنك لما سألت غاية لا تدرك وصفة لا يحاط بها علماً ولا تملك تعين على أن ألوح لك منها على مقدار فهمك، وأوقفك من شأنه على ما قدر أن يكون في علمك، ثم أشارت إلي من وراء سترها ومصون خدرها.

وقالت: هذا أمين الأمناء، وحمال البناء، وبعل الزهراء، أبصرته اللواهيت فحرقت النواسيت، ورامت الخروج إليه عشقاً وانقادت له ملكاً ورقاً، فصرف وجهه وأعرض وقد أمرض وما مرض وإلى طلب الزيادة تعرض وسحر الأذهان وعطل الأديان وكان سيف نقمة على كل عدو بعد أو دان وسيب نعمة على كل محب قرب أو بان، سجدت إليه الزهر الكواكب وارتاعت لمواضي أسنته قلوب المواكب.

وأعطته المملكة مقاليدها ووهبته مطاريفها ومتاليدها وملكته الخلافة أزمتها فلم يخفر عهدها وذمتها، ولم يزل يسوس مملكته بحسن النظر ويقيمها بسديد نتائج الفكر، حتى قامت الدولة على ساقها وعمتها خيراته على بعد أقطارها وآفاقها وتجلى شمساً باهرة بين أزرتها وأطواقها وحيد دهره وفريد عصره في بحبوحة ملكه، لا يبصر شيئاً خارجاً عن ملكه فرؤيته جلاء وفقده عماء، قال فسمعت عجباً ودعت أبتغي في السماء الرابعة كسباً وأطلب لها سبباً.

سماء الإمارة وهي الرابعة

(إدريس)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

قال السالك: فاستفتح لي سماء الاعتلاء وقيل لي: مرحباً بسيد الأولياء، الاعصام محيط بجوهر كالبسيط فقلت: نعم ما بشرت به وبينت فبمقامك العلي من أنت.

قال: أنا معدن الجلالة والسيد السلالة أبو العلى سيد المهاة والعزالة.

فأنشدته من عظيم ما وجدته.

هنيئاً لأهل السر في حضرة القدس ... بشمس جلت أنوارها ظلمة الرمس

وجلت عن التشبيه فهي فريدة ... وليست بفصل في الحدود ولا جنس

وندرك منها في كمال وجودنا ... كما يدرك الخفاش من باهر الشمس

فلله من نور أتته رسالة ... تصان عن التخمين والظن والحدس
أتا نابها والقلب ظمآن تائق ... إلى الملأ الأعلى إلى حضرة القدس
فجاء ولم يحفل بنور كثيره ... فخاطبها من حضرة النعل والكرسي
أنا النعل والعرش الكريم رسالتي ... فلله من بعل ولله من عرس
غرست لكم غصن الأمانة ناعماً ... وإني لجان بعده ثمر الغرس
تولعت بالتبليغ لما تبينت ... أمور ترقيني عن الوهم واللبس
ورحت وقد أبدت بروقي وميضها ... وخضت بحار الغيب في مركب الحس
ونمت وما نامت جفوني غدية ... وتهت بلا تيه على الجن والأنس
فيا نفس هذا الحق لاح وجوده ... فإياك والإنكار يا نفس يا نفسي

قال السالك: ثم افتر عن وميض برق شق به دجنة الفرق، وقال: كيف رأيت؟ أردت أن أعرب لك عن ماهيتي، وأعرب عليك بجميع هويتي، رأيت أيها السالك كيف فنيت الأغيار، وطمست الأنوار، وسرحت الأفكار، وتمت الأنهار، ونمت الأزهار، وتبينت حقيقة الاصطلام، وأشرقت أرض الأجسام، دللت على البقاء، وأسرت محل الارتقاء، إلى وجود اللقاء، أنا أشد دليل، على أوضح سبيل، لا يقضي علي، ولا ينتهي إلي، استويت على عرشي، اضطجعت على معالم فرشي، وصح له مرادي، وحمدت عاقبة اعتقادي، فقنعت بما أراد، ولو استددته لزاد.

سماء الشرطة وهي الخامسة

(هارون)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم، قال السالك فاستفتح لي سماء الشرطة، وقال لي: استفتحت سماء من أوتي في العلم بسطه، فلما فتح لي بابها اعترضني بوابها، وقام إلى حجابها، ورفع عني حجابها وقالوا: من الطارق، ومخترق هذه الطرائق، فقلت ضيف ورد عن أمر صاحب المنزل، فلم يوجد عن رحله بمعزل، فقطع الدو واخترق الجو، وها هو قد حط رحله بفنائه، فمن المتكفل بتبليغ قدومه للحضرة وإنهائه، ولولا ما شاءت ناشية، وغشيته غاشية، أدت إلى تجريد الجوار، والاستظهار بالزئير على الخوار ما قطعت هذه الأقطار، فبادر صاحب شرطه الأحمر وقال: مرحباً بسيدنا الأكبر، أنا المتكفل

بإنهائه، إلى حلة بهائه، وهل يدخر السهم السديد لا ليوم النضال، أو تنتشر كتب جالينوس إلا لحاجة الداء العضال، ثم أدخلني عليه وأوقفني بين يديه، فلما أبصرني الخليفة أطلق محياه وقال: حيا الله السيد وبياه، ثم قال لوزيره خاطبه على لسان الصواب، وعرفه بين الحكمة وفصل الخطاب، فجرد الوزير عن ساعده الأشد وضرب بلسان أرنبة أنفه وأنشد:

هذا الخليفة هذا السيد العلم … هذا المقام وهذا الركن والحرم
هذا اليمين قد امتدت لبيعتها … فيا أئمة هذا الله فاستلموا
ساد الأنام ولم تظهر سيادته … لما بدا العجل للأبصار والصنم
ما زال يدعو قويماً همهم أبداً … في نيل ما ناله موسى وما علموا
أن العيان حرام كلما نظرت … عين البصيرة شيئاً ذاته عدم

هذا الخليفة العلي المنيع السني سقاه كأس الذل من أوى إلى الظل فناداه بذات الرحم وقد علم أنه لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم فسوى بينهما في النور والضياء وتبرزاً في صدور الخلفاء، فما هلك امرؤ عرف قدره ولا خمد نور شمس لم ينر بدره.

قال السالك: فلقطت من شذوره واقتبست من نوره وأزال غاشيتي على حسب ما أعطاه الحال وأخذت في الترحال.

سماء القضاة وهي السادسة

(موسى)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال السالك: فاستفتح لي رسول الإلهام سماء الكلام فرأيت روحانية موسى عليه السلام فبادرته مسلماً، وقعدت بين يديه مستسلماً.

وعلى رأسه شيخ جميل ليس بالقصير ولا بالطويل فقال لي: هذا الشيخ هو قاضي القضاة ورئيس الولاة، وإليه ترجع أحكام السمٰوات، وقد أتاني في نازلة عميت عليه وأنا الآن أودعها لديه فخذ حظك منها، واعلم أنك مسؤول عنها، ثم صرف وجهه وقال: أيها القاضي لخص سؤالك في أوجز عبارة واقنع في الجواب بأدنى إشارة فقال القاضي سأل العبد الذليل الأدنى سيده العزيز الأسنى هل يصح فناء الاسم مع بقاء الرسم، فقال له الإمام: ألم تعلم أيها القاضي أن كل مخلوق مجبور يحيط بالحقيقة محصور، والعارف كلامه معرب

ونعته بالمغرب والوارث كلامه مشرق ونعته بالمغرب والمشرق، فالمحمدي يعري الأسرار ويكسو الأسرار، وقلبه بالحقيقة معمور ويشاهد الطريقة عليه مستور، جرد عن الغير وأوضح له المراد فجد في السير، فشاهد من ذاته ذاته ومن صفاته وصفاته، ومن أفعاله أسماؤه ومن أرضه وسماؤه.

ثم فني عنه بالكلية واستوى على عرش الصفات الإلٰهية فصح هنالك بقاء رسم العبودية، ومن هنا قال من قال: إياك وإفشاء سر الربوبية، إذا محى الوارث عن نفسه فلا فائدة له إلا قيامه من رسمه، وفناؤه عن حركته وحسه فإذا غرق في هذا البحر غرق في المنة فوجب عليه إقامة الفرض والسنة.

فأقر القاضي بشفائه واعترف وشكر على ما سمع وانصرف.

قال السالك: ثم صرف إليَّ وجهه، وتلا قوله تعالى.

(ولكل وجهة)

ثم قال: إعلم أنك قادم على ربك ليكشف لك عن سر قلبك وينبهك على أسرار كتابه ويعطيك مفتاح قفل بابه ليكمل ميراثك ويصح انبعاثك وهو حظك من أوحى إلى عبده، فلا تطمع في تخصيصك بشريعة ناسخة من عنده، ولا في إنزال كتاب فقد أغلق ذلك الباب إذ كان محمد صلوات الله عليه لبنة الحائط فكل دليل على مخالفته ساقط، ثم أنت بعد حصولك في هذا المقام وتحصيلك لما نطق به صريف الأقلام ترجع مبعوثاً وكما أنت وارث فلا بد أن تكون موروثاً، فعليك بالرفق في تكليف الخلق.

فإن حضرة الفرق ضعيفة عن حمل العهد والوقوف عند الحد فسل مولاك إذا ناجاك التخفيف عن رعيتك في كل شيء ما لم يقل لك لا يبدل القول لدي، فإذا سمعت هذا الجزم فلا فائدة في الإلحاح في المسألة والعزم، واسأل العون ما دمت مدبراً للكون ـ فطار والله ما أنهكتني المشقة وقطع بي بعد الشقة وهذه وصيتي فاعلم دليلك بها على الطريق الأرفق والزم.

قال السالك: والله يا سيدي لقد علمت أن المعارف لديك قد استقرت وحبائل الحقيقة إليك قد اسبطرت، فقال لي: ومن لي بصدق هذا النطق ولعلها دعوى برية من الحق، فقلت له في نظمي يتبين لك ما استقر في علمي، فقال: أنشد حتى أعرف أين أنت وأجوزك أن أعربت عن دعواك وبينت.

قال السالك: فأنشدته ـ شعر

السر ما بين إقراري وإنكاري ... في المشتري وهم المدلج الساري
لم لا تقول وقداً ووعت سرهما ... أنا المعلم للأرواح أسراري
أنا المكلم من نار حجبت بها ... نوراً فخاطبت ذات النور في النار
أنا الذي أوجد الأكوان مظلمة ... ولو نشاء لكانت ذات أنوار
أنا الذي أوجد الأكوان في سبح ... مجموعة لم ينلها بؤس أغيار
يا ضارباً بعصاه صلد رابية ... شمس وبدر وأرض ذات أحجار
فأعجب على شجر قاض على حجر ... وأبصر إلى ضارب من خلف أستار
لقد ظهرت فما تخفى على أحد ... إلا على أحد لا يعرف الباري
قطعت شرقاً وغرباً كي أنا لكم ... على نجائب في ليل وأسحار
فلم أجدكم ولم أسمع لكم خبراً ... وكيف تسمع إذن خلف أسوار
أم كيف أدرك من لا شيء يشبهه ... لقد جهلتك إذ جاوزت مقداري
حجبت نفسك عن إيجاد آنية ... فأنت كالسر في روح إنية القاري
أنت الوحيد الذي ضاق الزمان به ... أنت المنزه عن كون وأقطار

قال السالك: فالحمد لله الذي أقر عيني بما وهبك وكشف لك عن الأسرار بما حجبك.

سماء الغاية وهي السابعة

(إبراهيم)

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

قال السالك: فاستفتح لي الرسول الجليل سماء الخليل فرأيت سرر روحانيته يدور بالبيت المعمور في غلائل النور فسلم عليّ ورحب وبالغ في الإكرام وأسهب فقلت له: ياأبا القرى ومنادي ابناه بأم القرى نبهني على ماهية أمن مقامك الأجلى فقال: عليك بالنجم إذا هوى.

قلت له: فأين حظي من ذاتك قال: في إيثارك بأقواتك، ألم تعلم يا بني أنه لولا الجود ما ظهر الوجود، ولولا الكرم ما لاحت الحكم، ولولا الإيثار ما بدت الأسرار.

قال السالك: فقلت له: أريد الدخول إلى البيت المعمور والمقام المشهور، قال له: شروط في الكتاب المسطور في الرق المنشور، فقلت له: أوقفني عليه حتى أنظر إليه.

قال: فدعي بكيوان الغاية، عند أهل الولاية، ما عدا الولاية المحمدية والمقامات الصديقية، وهذا كيوان صاحب خزانته وقابض جبايته، فأقبل مسرعاً ووقف بين يديه مقنعاً، فقال له: افتح خزانة النور، وجئني بالكتاب المسطور.

قال: فأقبل به من حينه وقال: أعطه له بيمينه، ففضضت ختامه وتصفحت سطوره أعلامه فإذا فيه.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

لا إله إلا الله محمد رسول الله، هذا بيت الحق ومقعد الصدق، ومنبع الجمع والفرق، وسر الغرب والشرق، وهو حرام على صاحب كل مقام إلا على من دنى من الرفيق الأعلى، فتدلى على المقام الأجلى فكان قاب قوسين أو أدنى، مقام محمود محمدي الاجتبى، فأوحى إلى عبده ما أوحى، ففهم عنه صريح المعنى، ما كذب الفؤاد ما رأى من حقائق القرب في الإسراء، ولقد رءاه نزلة أخرى، وآدم بين الماء والطين مسوى، عند سدرة المنتهى، حيث تجتمع البداية والانتهاء، الأزل والوقت والأبد سوا، عندها جنة المأوى، مستقر الواصلين الأحياء، لما شاهدوا الذات آواهم جنة الصفات عن الورى، إذ يغشى السدرة ما يغشى من طرف الأسرار والنزه في العلى، ما زاغ البصر بغيره وما طغى، وكيف يزيغ لعدم لا يرى، فتوسط الكرسي وأمد العلوي والسفلي فظهرت القدمان بظهوره وأشرقت الأرض بنوره فاستمسكت الملائكة بالقدم الواحدة واستمسك العارفون بالقدمين الغائبة والشاهدة لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون من أعلى الاستواء إلى مركز النون.

فامتحن سر وجودهم عند مشاهدة موجودهم فكستهم عيبة الذات وغرقوا في بحور اللذات، ولم يبق لهم سبحانه بتجليه من رسوم الصفات إلا خفي الإشارات، فأرواح الوارثين في المشاهدة سوى وكما هم اليوم كذلك يكونون غداً غير أن مشاهدتهم في دار التركيب لها انفصال وانصرام وفي مقام دون مقام ومشاهدتهم هنالك على الدوام، فالانتقال في حق الأرواح والحشر في حق الأشباح حشر الأجسام من دار التكليف إلى دار الانفعال وحشر

الأرواح من مقام الجلال إلى مقام الجمال.

حتى إلى ما لا يقال: وهنالك لا يجوز الانتقال، فمن جعل في هذا المقام فليس دخول البيت عليه حرام والسلام على من وقف على قوله تعالى: يا أهل يثرب لامقام.

قال السالك: فقلت له: يا أبا الإسلام سلام ومؤلف الجزئيات وعالم ملكوت الأرض والسمٰوات جهلت أمري فوضعت من قدري وأنا أنبهك علي بغريب نظمي نثري:

مذ حل كاتب حب الله في خلدي ... وخط سطراً من الأشواق في كبدي
ذبت اشتياقاً ووجداً في محبته ... فآه من طول شوقي وآه من كمدي
يا غاية السؤال المأمول يا سندي ... شوقي إليك شديد لا إلى أحد
يدي وضعت على قلبي مخافة أن ... يشق صدري لما خانني جلدي
ما زال يرفعها طوراً ويخفضها ... حتى جعلت اليد الأخرى تشديدي
مر الفؤاد عن التركيب مرتحلاً ... إلى الحبيب الذي يفنى وليس يدي
ما زلت أطلبه وجداً وأندبه ... بعبرة حيرتها زفرة الخفد
حتى سمعت نداء الحق من قبلي ... من كان عندي لم ينظر إلى أحد
فمت بوجدك أو مت أن تشأ طرباً ... فإن قلبك لا يلوي على الجسد
فقمت والشوق يطويني وينشر بي ... وصحت من شدة الأفراح واكبدي
لما شهدتك يا من لا شبيه له ... لا فرق عندي بين الغي والرشد
فالنفس تعرفه علماً وتبصره ... عيناً وتشهده في الوقت والأبد
من عاين الذات لم ينظر إلى صفة ... فإن فيها حجاب الصف بالصفد

قال السالك: فقال لي: أما المراد بهذا الحجاب وإلى الأحباب فتحت الأبواب، قلت له: وأين الخلة من المحبة وأين المحبة من القربة كم بين من يقول: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾ [طه: ٨٤] وبين من يقال له: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ۝٥﴾ [الضحى: ٥] كم بين من يقول: ﴿رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى﴾ [طه: ٥] وبين من يقال له: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١﴾ [الشرح: ١].

قال السالك: ثم قلت له: ما ظنك بنهاية هذه بدايتها وأسرار هذه علانيتها أو أين أنت من قولي بشاهد فعلي.

إلٰهي ومولاي تمازج سركم ... وسري يا سؤلي فعنكم أترجم
بكم أبصر الأشياء غيباً وشاهداً ... بكم أسمع النجوى بكم أتكلم

أين مقام الأذكار من فناء الأفكار وعدم الأسرار وطموس الأنوار.

بذكر الله تبتهج القلوب وتتضح المعارف والغيوب
وترك الذكر أفضل كل شيء فشمس الذات ليس لها غروب
بذكر الله تغتفر الذنوب وتبتهج البصائر والقلوب
وترك الذكر أفضل منه حالاً فإن الشمس ليس لها غروب

أو أين أنت من مقام وصلت إليه ونزلت عليه.

يا فؤادي قد وصلت له قل له قول حبيب مدل
لولاي عرش لم يصح استوا وبنوري صح ضرب المثل

قال السالك: فلما عاين هذا المومى، قال: لا يستوي البصير والأعمى، ثم قال لي: يا بني أذكر أباك عند مناجاتك مولاك يا بني أين منك الخليل، وأنت بالمقام الجليل، شتان بين من نظر في النجوم فقال: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ [الصافات: ٨٩]، وبين من قال عنه ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾﴾ [النجم: ١١] أنا أقول: رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين وأنت يقال لك: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ٢]، وأنا أقول: ﴿وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [الشعراء: ٨٤]، وأنت يقال لك: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾﴾ [الشرح: ٤].

قال السالك: ثم بكى وقال: شغلتنا ملاحظة الأغيار، عن مباشرة هذه الأسرار، هيهات وأين الكلام من الإيثار، الكرم سيادة والإيثار عبادة، الكرم مع الرياسة، والإيثار مع الخصاصة، يا بني سر إلى ما إليه ناداك محبك ومولاك، والعهد بيننا التعريف بما به ناجاك.

قال السالك: فرجع البراق، وخرج عن السبع الطباق وألقى الرسول عصى التسيار، بسدة الأنوار.

سدرة المنتهى

قال السالك: فقلت له: ما هذا النور والبهاء، قال: سدرة المنتهى، ثم تلا الرسول الكريم: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾﴾ [الصافات: ١٦٤] فسكتنا عن تعبير ما رأينا كما سكت، كما يشاهد من يراد كما شهدت سكوت حصر وعجز، لا يقوى معه إشارة ولا رمز، فإنه إذا كان معدن الفصاحة والحكم، قد أوتي جوامع الكلم، وما زاد على أن قال: فغشاها من نور الله ما غشى، ووقف هنا وما مشى.

ثم قال: فلا يستطيع أحد أن ينعتها وإذا كان هذا فكيف يصف أحد حقيقتها، فجدير

أن يوقف عندما وقف، وينظر في الترقي منها على الرفرف، حيث الملأ الأشرف، فإذا النداء من الأعلى، من ذلك بالرفارف العلى، وبينك وبينها الكرسي الكريم، الذي يعرف به كل أمر حكيم هو حضرة الأدب لأهل الهمم والطلب، وإليه ينزل الواصلون وعنده ينتهي المحجوبون، فالزم ما يقال لك فيه: وقف عند وصية ساكنيه.

حضرة الكرسي

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً.

قال السالك: فأنشأ لي جناح العز، وطرت في جو الفهم حتى وصلت حضرة الكرسي، والموقف القدسي، فسألت عن مسجد الوصي، فقيل لي: بالمنزه الأقصى، فرأيت شيخاً ضخم الدسيعة فقيل لي: هذا قطب الشريعة.

وقد أحاطت به أخلاط الزمر إحاطة الهالة بالقمر، فسلمت تسليم خجل لا تسليم وجل، فقال الشيخ رضي الله عنه مرحباً بالقاصد، مقتنص الجواهر والفرائد، ثم قيل لي: أين تريد فهممت أن أقول: أريد أن لا أريد، فلما لم يكن مقامي لم يسعه كلامي، فجذبني إليه، ودرته بين يديه، فقلت: أريد مدينة الرسول صاحب الجمل والفصول، قال: وما تريد بمدينة أثرها قد درس، ونورها قد طمس.

قلت: لست للترابية أشير ولكن لبدرها المنير وعنصر مائها النمير، فقال: ألم تسمع قوله عليه السلام، وعلى بابها، وأنا أيها الطالب بوابها، فمن أراد المدينة فليقصد الباب، ويتملق للبواب، عند أشباح النسم، يهدي إليك طرائف الحكم عند الأشباح بالغبار، تعدى لك الأرواح بالأسرار، قلت له: يا سيدنا هل يعرف لذلك الباب مفتاح قال: أي والعليم الفتاح:

رأيت البيت مقفولاً لسر السر قد ملكا
سألت الله يفتحه فقال: بمن فقلت: بك

قلت: ناولنيه، قال: من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه، قلت له: قد عرفت حقيقة مكانه، فزد في نعته وبيانه.

قال له: أربعة أسنان أتقنها الحكيم الرحمان، فيها أربع حركات تجري على جميع

البركات، فإذا فعلت ما ذكرته لك وأحكمته، فزت بالمفتاح وملكته، ومن ملك المفتاح فتح الباب، ومن فتحه حصل على كنز السرداب، فرأى الشيخ وتلميذه آمنين من الشك والارتياب مبسوطين في حضرة الوهاب، قلت: قد فهمت ما أردت وعثرت على السر الذي إليه أشرت، ولكن زدني زادك الله من إحسانه، وأسبغ عليك رداء امتنانه.

قال: ادع الله أن يمدني بإلهامه، ويؤيدني بعلمه القديم وكلامه إسمع أيها السالك حسن الله أفعالك ولاجعلها أفعى لك، وسدد أقوالك فإنها عند المناجاة أقوى لك، حمد الله أولى ما يعربه فاه ناطق، وصلواته على رسوله فاتح اختراق هذه الطرائق، إلى مناجاة العليم الحكيم الرازق، فالحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق، فاسمع ولا تنتطق:

أنض الركاب إلى رب السمٰوات — وانبذ عن القلب أطوار الكرامات
واعكف بشاطىء وادي القدس مرتقباً — واخلع نعاليك تحظى بالمناجاة
وغب عن الكون بالأسماء متصفاً — حتى تغيب عن الأوصاف بالذات
ولذ بجانب فرد لا شريك له — ولا تعرج على أهل البطالات
بل صم وصل وفكر وافتقر أبداً — تنل معالم من علم الخفيات
فقد قضى الله بالميراث سيدنا — لكل عبد صدوق ذي تقيات

ألق أيها الطالب بالك أصلح الله بالك، حافظ على العلوم المدينة والأسرار الإلٰهية وإياك وإفشاء سر الربوبية، أخل القلوب وجاهد النفوس وفرق بين العلم الإلٰهي والمحسوس، إجمع بين الظاهر والباطن يتضح لك سر الراحل والقاطن، قف مع الظاهر في كل الأحوال ولا تقف مع ما ليس لك به علم في ظاهر الأقوال.

تلق الكلمات والحق بالآباء والأمهات صلي على ذي العلوم المدنية والأسرار القدسية وعلى الكليم وابن نون وانظر لمن كان الحوت عنده يبدو لك السر المصون في الكتاب المكنون الذي لا يمسه إلا المطهرون، لا تنظر الحوت بعين الغذاء والقوت وتأمل السرين في مجمع البحرين وكيف وقع النسيان هنالك ولم كان ذلك ولم كان حوتاً ولم يكن غير ذلك، ولأي فائدة اتخذ البحر مسلكاً على سائر المسالك أمط لو وليت ولولا تكن العبد والمولى، ترد برداء الآمنين وقف للناس في موضع القدمين وخذ من العلم حرف العين.

أخرق السفينة تلج المدينة، اجعل في السفينة من كل زوجين اثنين، ولا تعرج على من قال: سآوي إلى جبل يعصمني من الحين، هما سفينتان، لهما في الوجود معنيان، الواحدة سلامتها في الفتق، والأخرى نجاتها في الرتق، ليس في الملك إلا واحد فإياك أن تخرق

سفينة الشاهد، اجعل السفينة من الزوجين، فقد قال: لا تتخذوا إلهين اثنين، أحي الغلام، يدنك رب لأمة والغلام، اقتله فإنه كافر بمواضي الأسنة والبوائر، أقم الجدار وحذار من هدمه حذار، اهدم الجدار فإنه مجاب، هكذا رأيته في أم الكتاب، افتح من السد المهرب، واثبت للتيار ولا تهرب، إياك أن تتناول فتحه، واقنع من الوجود بأيسر لمحة.

عطل وداً وسواع واكتم أمرك تأسياً بصاحب الصواع حجاب فلا تكتم، ولا تعطلها فتظلم، لا تفرد أخاك مخافة الذيب، واعطف عليه عطف المحب على الحبيب، إن لم تفرده للذيب، لم يتميز في أهل التخلق والتهذيب، لا تعطف عليه وانبذه بالعرا، حتى تبصر تأثير الأسماء، إذا أردت أن يكون نعم الحدث، وأرى العزيز الحدث، اعرف قدر العزيز، فهو الذي أحلك محل سقوط التمييز، وجه البشير ولا تعرج على العير، ودارك بالتسبيح التكثير، وارفع أبويك على السرير، أمسك القميص فإن الشيخ حريص، واترك الإبل في المسارح تمر عليها السوانح والبوارح، لا ترفعهما عرشاً ومهدهما فرشاً، واخفض لهما جناح الرحمة ولا تنهرهما، ولا تقل لهما أف وإن استطعت فأعدمهما هما حاجباك، وهما باباك.

ابتغ الفتية، فهم الخلة العلية، لا تقف أثرهم جملة وتفصيلاً، ولا تتخذ إليهم سبيلاً، إذا اطلعت عليهم فول منهم رعباً، عيناً لا قلباً، السعيد كل السعيد، من قام عند الوصيد، اشمخ بأنفك عن همة الكلاب وإياك وملازمة الأبواب، سد الباب، واقطع الأسباب، وجالس الوهاب يكتمك من دون حجاب، لا تجالسه بحال فإن الكلام محال، لولا الأسباب عرفت الحقائق، فافتح الباب ولا تفارق، طهر فرجك من الفلوح، ينفخ لك فيه الروح، لا تظهر الفرج، وانظر ما ارتقم في الدرج.

ناد في الظلمات، تنبعث بين الأصوات، لا تناد من ظلمات الستور فإن النداء في النور، أنت الواحد الفرد، إن ضربت الفرد في الفرد، لا سبيل إلى ضربه، لثبوت ما أراد أن يوجده من غيبه، لا تقل: مسني الضر وسوِّ بين النفع والضر، وإذا مسك الضر فادع بلسان التعليم فهو مراد الحكيم العليم، لا تعود لسانك الحنث وبر يمينك ولو بالضغث، الحنث لا يلتفت إليه، فإن أهل الكشف ما عولوا عليه، لا تعذب الهدهد كما هم سليمان حتى تعجز عن البنية والسلطان، عذبه لما كشف السر وخرق الستر، ارفق على النمل إذا أوجبت بسوابق الخيل، فرقهم أيادي سبا، واقتلهم مضي السيف أو نبا واتركهم بين مهب الشمال والصبا، لا تشغلنك الصافنات عن المناجاة، أو امسح بالسوق والأعناق، وشد السير إليها والأعناق، من نظر الفعل للذات ما دام في المناجاة، فلا تمسح بأعناقها، ولا تشد في أعناقها.

لا تدفع الخاتم إلى أحد، ولا تأمن عليه أماً ولا ولد، ادفعه لمن شئت فإنه حجاب،

ولا مسخر إلا مسبب الأسباب، لا تعرج على عرش بلقيس، ولا تلتفت لصرحها الممرد النفيس، إلا أن بدأ منها الإسلام وألقت يد الطاعة والاستسلام، عرج عليها متى ظهر منها الإذعان في حالتي الإيمان والكفر إن تكن من أهل مقام الإحسان، لا تقدم اسمك على اسم مولاك، وإن كان ذاك لعلة هناك، قدم اسمك فهو المشرع المتبع، وإن لم تفعل فلست بمتبع، لا ترغبن في ملك لا ينبغي لأحد من بعدك، بل قل كل هذا سبحانك من عندك ارغب في ملك لا ينبغي لسواك، تخلق في ذلك بصفات مولاك، انشر البساط، واترك الناس في هياط ومياط، اطو البساط، وأعدل إلى القبض من الانبساط.

الزم المحراب يأتيك الرزق بغير حساب لا تلزمه سبياً متمماً واتخذ إلى التوحيد سلماً، لا تهز الجذع في كل وقت فإنه مقت، هزه فهو المراد وهو الدليل على أهل الإفك والإلحاد، كن في المحلق ثلاث تفز عند المقابلة بثلاث، إن وقفت على الموائد الثلاث حزت مقام الضحك والإكتراث، سلم أمرك لصاحب السماء تعلم معالم الأسماء لا تسلم فلست يثاني فلا يحجبك المثاني.

اقصد الحج المبرور وطهر البيت المعمور تنادي من جبل الطور، إذ كانت الإشارة نداء على رأس البعد فما ظنك بالنداء من بعد، إن سرت بأهلك آنست ناراً وكلمت العزيز جهاراً، لو لم تسر بأهلك لرأيت النار نوراً فكشفنا في أول نظرة عن عينيك أعطية وستوراً، لا تطلب رداءاً سواه فمن توكل عليه كفاه، اطلب الردء من جنسك فإنه قد شاء أن يكون قوى لنفسك، ألق في تابوتك اليم مطبقاً فإنه لا بد من اللقا، لا تلقه بحال وأخلص لرب الحال، إن خفت الفسوق في الفقر فاضرب بعصاك ظهر البحر، فإن فتح لك طريق فاعلم أنك على منهاج التحقيق، لا تخف ولا تضرب واثبت ولا تهرب، يا عجباه كيف السلامة والبحر مديد والقسورة في البيد، لا يد ولا وزر إلى ربك يومئذ المستقر، إذا توكلت عليه في يقظتك ونومك علمت أنه لا بد من يومك فلا تعجل عن قومك، اعجل للنور المبين لعل قومك يفتنون، لا تستخلف على أمتك فيأخذ بعض الناس على همتك استخلف، ولا تعرف، ولا تطلب مائدة حتى تعرف شرطها ولا تقصد رفعها وحطها، حتى تعرف معناها وما أراد بها مولاها، لا تطلبها ما بقيت واشتغل بما به نوديت، إن اتبعت النص أحييت الموتى وأبرأت الأكمه والأبرص، جنب النص وعليك بالبحث والفحص.

لا تجعل الغراب دليلك فتشقى ولا تترك أخاك على ظهر الأرض ملقى هو أشد دليل على أرفع سبيل، لا يغلب على مقلتك النوم فتنفش غنمك في حرث القوم عليك بالنوم فيه تؤتى الفهم، لا تكن جباراً فتحد على الطريق حتى تصير ضجيع الغريق، كن جباراً على من تمرد واستكبر استكباراً.

اجعل الأصنام جذاذاً واعتصم بالله عياذاً، لا تترك الكبير وقارنه في الهلاك بالصغير، واترك الوجود على ما هو عليه فكل ميسر إلى ما يسر إليه، غمض عن الكواكب والقمر وإذا رأيت الشمس فلا تقل هذا أكبر، لا تقف مع السابع من الأفلاك وارغب إلى الله في التاسع حيث الاستواء والأملاك، ارفع الهمم واستعد لتحلة القسم، إن خلت الشمس في حملك أمنتها وذاقها غيرك وعاينتها، فإن تنزه رفعك عن القدم وآتاك جميع الكلم والحكم، فأنشد كما أنشدت ولا تهتم:

بدني أضحى إلى الأمم نائباً عن كعبة الحرم
كعبة للسر طاف بها كل من يمشي على قدم
من أراد الحج يقصدها من جميع العرب والعجم
أنا سر الخلق كلهم أنا الأقسمة الكلم
إنني شفيع ووتر إذا لم يكن بالربع من أرم
أنا كن لكنني شبح قابل للجهل والحكم
فيكون الجهل في صبب ويكون العلم فى علم
إنني لو كان قدر فما غير أن الوتر في القلم
أنا وصف الوصف فاتصفوا أنا ذات الذات فالتزم
أنا سر السر مذ عدلت همتي عن موقف الهمم
أنا نور النور مذ برزت بوجودي درة الظلم
أنا عز العز ما ملكت نفس الذات الذل والغنم
من رآني فقد رأى ما خفي في مثال النور والقدم
بلغ الغاية قلب فتى ليمين الله مستسلم
قد أبحنا لثمها فمه ما علي في سابق القدم
سعد نفسي أنها سعدت بسلوك الواضح الأمم
لم ينله غيرها عاشقاً مثلها في سالف الأمم
يا رجالاً طلبوها غيرنا أين جود البحر من كرم
ارجعوا واستلموا كف من أن يهب لم يخش من عدم
كل طرف في العلى سانح نجونا وجدا بنا يرتمي
كل سر خافض رافع لوجودي رغبة تنتمي

منذ حل الشمس في حمل أمنوا تحلة القسم
لم يزل ولا يزال غداً في نعيم غير منصرم
وشموس الوصل طالعة وخسوف الهجر في العدم
انظروا قولي لكم فلقد عين كل الناس عنه عمي
تجدوه واضحاً حسناً منبئاً عن رتبة الكرم
يا إلٰه الخلق يا أملي يا سميري في دجى الظلم
جد على صب حليف ضني يا كثير الجود والنعم

ثم قال: يا بني إذا ظهرت لمستوى، وأيدت بالأسرار الإلٰهية والقوى، سمعت صريف القلم في لوح المحو في القدم، هنالك إذا لم تر شيئاً رأيت، وإذا لم تسمع شيئاً سمعت، فإذا رفع لك سر السر، واتصل الشفع بالوتر، كان هو ولا أنت، وظهر الحق وَخفيت، وغبت عن البيت وعن صاحب البيت، فرأى نفسه بنفسه وعاد العدد إلى أسه، فإن قضى لك بالرجوع، ومفارقة ذلك المكان المنيع، ولا بد من ذلك للوارث، فإنه من تمام النعمة ولطيف الحكمة، حتى يتنعم الظاهر والباطن، وسري الراحل والقاطن، فاجهد في سلوك هذه المقامات، واعلم أنه من أراد اللقا مات فسلم الأمر إليه، وتوكل في سلوكك عليه، حتى تقف بين يديه.

قال السالك: ثم قال لي: اسبر هذه الوصية في محك النظر، ومجاري الغير، وتخنق بها على الطرد والعكس، تارة مع العقل وتارة مع النفس، ففرحت بوصيته، ورغبت في استدامة صحبته، فقال آلى العبد أن لا يصحب سوى مولاه، وأن لا ينظر سواه، ولم يزل يطنب في الدعاء، ويجهد في الثناء.

قال السالك: فقام أهل المجلس وقالوا بلسان واحد: يا سيدنا أدر الله درك وألحق بك الحق ودرك، لله أنت من خطيب ما أفصح لسانه، وأحسن بيانه، وأطلق في شأو البلغاء عنانه، وأكن من الدر جنانه، واكتب للبدائع بنانه، وأعذب كلامه، وأشهى إلى الأسماع نثره ونظامه، لقد بالغت في الوصية، وأوضحت المقامات السنية، وأعربت عن أسرار الصوفية، ودللت على الطريق الأقوم والمنهج الأقدم، جازى الله سبحانه مجدكم على ما منح، ووهب لكم جزيل المنح.

الرفارف العلى

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

قال السالك: ثم أنشأني نشأة أخرى وتلا ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا﴾ [المؤمنون: ٤٤]، فسويت جناح اللطائف، وامتطيت متون الرفارف، وطرت في جو المعارف، فإذا هي مائة رفرف تدعى بالملأ الأعلى الأشرف:

فعاينت من علم الغيوب عجائبا ... تصان عن التذكار في رأي من وعى
فمن صادحات فوق غصن أراكة ... يهجن بلابيل الشجى إذا شجى
ومن نيرات سائلات ذواتها ... أميضوا علينا النور من فرصة المها
ومن نقر أوتار بأيدي كواكب ... عذاب الثنايا ظاهرات من الخبا
ومن نافثات السحر في غسق الدجى ... عسى ولعل الدهر يسطو بهم غداً
وأبصرت أقواماً كراماً تبرقعوا ... ولو حسروا ضجت على أرضنا السما
فمن سالك نهج الطريق مسافر ... إلى سفر يسمو وفي الغيب ما سما
ومن واصل سر الحقيقة صامت ... ولو نطق المسكين عجزه الورى
ومن قائم بالحال في بيت مقدس ... فلا نفسه تظمأ ولا سره ارتوى
ومن واقف للخلق عند مقامه ... ورتبته في الغيب مرتبة الأسى
ومن ظاهر وسط الطريق مبرز ... له مكنة تسمو على كل من سمى
ومن شاطح لم يلتفت بحقيقة ... قد أنزله دعواه منزلة الهبا
ومن نيرات في القلوب طوالع ... تدل على المعنى ومن يتصل يرى
ومن عاشق سر الذهاب متيم ... قد أنحله الشوق المبرح والجوى
وصاحب أنفاس نراه مسلطاً ... على نار أشواق بها قلبه اكتوى
ومن كاتم للسر يظهر ضده ... عليه الطلاب المشاهد للبقا
ومن فاضل والفضل حق وجوده ... ولكن ما يرجوه في راحة الندى
ومن سيد أمسى أديب زمانه ... يقابل من يلقاه من حيث ما جرى
ومَن ماهر حاز الرياضة واعتلى ... فصار ينادى بالأسنة واللها

ومن متحل بالصفات التي حدا بأجسادها حادي المنية للبلا
ومن متجل طالب الأنس بالذي تأزر بالجسم الترابي وارتدا
ومستيقظ بالانزعاج كأنه أصابته مطروحاً على فرش العما
فقام له سر التجلي بقلبه فلم يفق بالغير الدنى ولا الدنا
ومن شاهد للحق بالحق قائم له همة تفني الزوائد والقنا
ومن كاشف وهو الأتم حقيقة ولولا أبو العباس ما انصرف القضا
ومن حائر قد حيرته لوائح تقول له قد أفلح اليوم من رقى
ومن شارب حتى القيامة ما ارتوى ومن ذائق لم يدر ما لذة الطوى
ومن غربة والمكر فيها مضمن ومن اصطلام حل في مضمر الحشا
ومن واحد قد قام من متواجد فأبدى له الوجد الوجود وما زهى
ومن سائر بالعلم وهو إشارة إلى عارف فوق الأقاويل والحجى
ومن ناشر يوماً جناح يقينه يطير فيسرى في الهواء بلا هوى
ومن باسط كفيه وهي بخيلة ولولا وجود القبض ما مدح الندى
وصاحب أنس لم يزل ذو مهابة وصاحب محو عن نسيم قد انبرى
وصاحب إثبات عظيم مهابة تتوج بالجوزاء وانتعل السها

قال السالك: فما زلت أخترق بهذه الرفارف وانظر في بدائع هذه الطرائف واللطائف، حتى أتيت على آخرها وعرفت باطنها من ظاهرها، فنوديت: إلى أين! فقلت: إلى قاب قوسين، حيث يزول الكيف والأين تتضح الأسرار لذي عينين.

مناجاة قاب قوسين

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وصلى الله على محمد وإله وصحبه أجمعين.

قال السالك: فنزل إلى الملك بالسلام الأسنى فرقيت فيه إلى المستوى الأعلى، فلما أنزلني قاب قوسين، قال: لا تطلب أثراً بعد عين، ثم تكفن في جناحيه ونكص على عقبيه.

قال السالك: فلما لقيت قيل لي: سلم يرد عليك، وسل ما شئت يوهب إليك، فسلمت كما يجب، وجثيت على الركب، فسمعت كلاماً مني لا داخلاً ولا خارجاً عني،

وهو يقول:

لله در عصابة سارت بهم نجب الفناء بحضرة الرحمٰن
قطعوا زمانهم بذكر حبيبهم وتخلقوا بسرائر القرآن
ورثوا النبي الهاشمي المصطفى من أشرف الأعراب من عدنان
ركبوا براق الحب في حرم المنى وسروا لقدس النور والبرهان
وقفوا على حجر الصفا فأتاهم لبن الهدى من منزل الفرقان
قرعوا سماع جسومهم فتفتحت أبوابها فبدت لهم عينان
عين تبسم ثغرها لما رأت أبناؤها في جنة الرضوان
وسمالهم عين تحدرد معها لما رأتهم في لظى النيران
قرعوا سماء الروح لما آنسوا جسماً ترابياً بلا أركان
فبدا لهم لاهوت عيسى المجتبى روحاً بلا نفس ولا جثمان
كمل الجمال بيوسف فتطلعوا لمقام إدريس العلي الشان
طلبوا الخلافة إذ رأوا هارون قد أربت منازله على كيوان
مالوا الخلافة عندما نالوا منا موسى الكليم الراحم المنان
سجد الملائكة الكرام لديهم دون اعتقاد وجود رب ثان
طمحت بهم هماتهم فتخللوا في حضرة الزلفى قرى الضيفان
كملت صفاتهم العلية وارتقوا عن حضرة الإيمان والإحسان
للذات كان مسيرهم فحباهم بشهودها عيناً بلا أكوان
وصلوا إليه وعاينوا ما أضمروا من غيب سر السر كالإعلان
سبحانه وتقدست أسماؤه وعن الزيادة جل والنقصان

قال السالك: ثم قال : أخبرني زهرة المحبين، ويا جمال الوارثين، ماذا لقيت في طريقك إلينا، وبماذا وفدت به علينا؟ قال السالك: لما فارقت الماء عرج بي إلى أول سماء فرأيتها مزينة بالنجوم، فمنها اهتداء ومنها رجوم، ورأيت مقامات الخلفاء، ومصابيح الظلماء، فوجدتها ثمانية وعشرين، وحضراتهم اثنتا عشرة للتتميم الأربعين، فقيل لي: هذه منازل السالكين، وينابيع حكم المخلصين، ثم لحظت السبعة الخلفاء في الأفلاك يسبحون، فحملتها على السبعة المودعة في الفلك المسحون، فنظرت في الجدي والفرقدين، فإذا هم الأئمة في العالمين.

فاستفتحت سماء الأجسام فرأيت آدم عليه السلام، وعلى يمينه سوء القدم، وعلى يساره أسودة العدم، وهو يتردد بين بكاء الجلال وضحك الجمال، لمعاينة النقص والكمال، فرأيت جميع الأنبياء أمواتاً حين رأيتهم أشتاتاً، وطلبت الحقيقة فقيل لي: حتى تفنى عن الطريقة، فإنه لا يبدو كمال الصورة لأهل المعراج والنهى، حتى يبلغوا سدرة المنتهى، هنالك تنتهي حقائق نفوسهم وتكشف لهم عن مواد شموسهم، وذلك أول مقامات الثلاثمائة والفناء على كل فئة، وأما حقيقة الذات فلا تشاهدها سواه وغاية كل واصل أن يشاهد معناه، فلا غاية فيما فيه الغاية، ولا نهاية لموارد البداية.

فعرج بي إلى سماء النفوس، وانتقلت عن العالم المحسوس، فنفخ في الصور بمشاهدة المسيح فأظهر فتقاً في سماء وأرض كانتا رتقاً، فنطقت بالحمد والثنا فأعطيت الحسن والغنا، فرأيت يوسف في سماء جمال القلوب، فألحقني بموارد الغيوب، فشكرته شكراً سنياً فرفعني مكاناً علياً، فرأيت في الرابعة إدريس، وتقدس السر عن التخيل والتلبيس، فقلت: هذا المنتهى، وهذا مقام الكمال والبهاء، وطلبت الخلافة عن الإمام، فرفعت إلى هارون عليه السلام، فقيل: أتعرف ما جرى من استخلف في مقام الإحسان؟ فأخذ بلحية كليم الرحمٰن.

فعرج بي إلى سماء الكلام، فرأيت موسى عليه السلام فرحب بي وأقعدني، وعلى موضع الرفق نبهني، ثم قال لي: أنا الكليم المكلم القديم لو لم تلق الألواح، ما جررت برؤوس الأشباح، أنت عبد مكرم، ولدينا معظم، قلت له: أريد الخلة، قال: هي لمن سد عن الأنام الخلة، قلت: أنا ذلك قال: فارق إلى السماء السابعة أيها السالك، فهي سماؤها، وعليه قام عمادها وبناؤها، فرأيت صاحبها مسند أظهره إلى البيت المعمور، فأدركني الجذل والسرور، يدخله كل يوم سبعون ألف ملك، ليحيي من حي عن بينة ويهلك من هلك، وأقيم لي في السدرة نهران ظاهران، ونهران، فالظاهران أن قراءة الكتاب ووصل السنة، والباطنان التوحيد والمنة.

ثم بلغت سدرة المنتهى، وقلت: هذا هو الانتها فتلا على الرسول الكريم، وما منا إلا وله مقام معلوم ولا بد لك من التداني والترقي والتدلي والتلقي بالمقام المحمود وحضور الشاهد والمشهود ثم اختطفت من تلك السدرة العلية، وأنزلت بكرسي الشفعية فحفظت بها الوصية السنية ثم أنشأ جناح اللطائف وامتطيت ظهور الرفارف فمررت بثلاثمائة حضرة ما نظرت إليها نظرة، فسمعت صريف القلم باليمين، في ألواح صدور الوارثين، فلما دنوت من الصريف قيل لي: تقنع بالنصيف.

قال السالك: فعندما سمع مني هذه اللفظة لطني، وفي ثوب العبودية غطني، ثم قال

لي: يا عبدي لا تحد حد الكلام فإنني المكلم والمكلم ومني الكلام، فلا يحمل كلامي سواي كما لا يسعني أرضي ولا سمائي.

مناجاة، أو أدنى،

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً.

قال السالك: ثم أنشأ لي جناح الفنا فطرت به إلى حضرة أو أدنى، فلما نزلت بفنائها وسقطت على حيطان أسمائها أنشدت.

من الذي لم يزل ينادي ... إلى الذي لم يزل مجيبا
أسهرت عيني أطلت بيني ... أورثتني الوجد والنحيبا
صيرتني في الهوى فريداً ... متيماً هائماً غريبا

قال لي ذلك أرادني فسلم، وإن جرت مقاديري عليك فوض أمرك واستسلم، أيها السالك: أريد أن نخصك **بحضرة، أو أدنى**، هل أطلعت **على** حقائق الإشارات في آيات **جواهر القرآن**، ودرره الأسنا سورة سورة حتى يصح لك كمال الصورة أناجيك بلسان الترجمان بأوضاعه وغرره كمناجاة أبي حامد في جواهره ودرره، وكنت قد برزته في زمانه سابق ميدانه سر شمسه وهلاله لم ينسج في أوانه على منواله إلى أن وصل زمانك المنهج، وأوانك الملهج، فغزلنا لك أرق من غزله ورفعناك عن نسبة الوجود وجد غزله وهزله، فنسجته بنا على منوال مخترع وألبسته حلة صافية الأردان مختلفة الألوان درة بكر عيناً لم تفترع، فوجود الفرق بينهما واضح، وطريق انضمام شملكما لائح، وذلك أنا نظمنا لك الدرر والجواهر في السلك الواحد، وأبرزنا له ذلك النظم في حضرة الفرق المتباعد ولقديري الواقف عليه يكاد لا يعثر على سواء النسبة التي أودعتها لديه وفي مناجاتك **يلوح لك** سر نسبه وعلو منصب سببه، فاستمتع ما يلقى عليك الترجمان بلسان الرحمٰن أسرار القرآن وجواهر الفرقان، ودرر **السلوك** وجواهر **سلوك** الملوك **وقلائد** النحور، وفرائد صدف النحور ورموز الكباريت، وإجلاء اليواقيت.

فألق السمع أيها السالك لإدراك غوامض الأسرار، وجد إدراك البصيرة إلى إدراك

مشارق الأنوار، وافن عن الكلية الأبدية بالكلية الأزلية، وقد لخصنا لك عيونها، وكم رامها غيرك فقطع به دونها، وزوينا لك الشقة، ووهبنا هالك من غير مشقة. فاغترف من بحار الحضرة الإلٰهية، وأنشىء بها القوالب الطينية، فالقشر مع اللب كالجسم مع القلب، فشتان بين محل الأسرار والغيوب ومهب الصبا والجنوب، وإذ ولا بد من الاختيار في معاني هذه الأسرار فما قصدك الإطالة أم الاختصار؟ فإن هذه حضرة أو أدنى، ليس فيها إلا دقيق سراً ولطيف معنى من هنا أرسلت الفوائد لمناجاة الإمام أبي حامد.

فقلت له: إن الطالب إذا فهم وقع الإشارة، أوجز له في العبارة ـ فإن كان من أهل التحصيل، فسيوفق للتفصيل، فسلني عن المعاني الكثيرة باللفظ الوجيز، وخلصه لي كالذهب الإبريز.

قال السالك: فقال لي: نعم نخلص ونعرب عن القصد ونلخص وها نحن نشخص إليك ترجماناً يلقي عليك أسرار الكتاب ويقدم لك القشر على اللباب، وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب، وقد أمرناه أن يسألك عنها ما بين زراعة وحصاد وسبيل وجهاد، وتجل وتحل، وبداية ونهاية، ورتقاء ولقاء وغرس وجنا، وحرف ومعنى، وتجارة وربح، وصلاح ونجح، وقرع وفتح، وسلوك ووصول، وجمل وفصول، وأرض وسمٰوات، وألفاظ وإشارات، إلى أمثال هذه الإشارات الحقيقية، واسلك عن رموزها الرسمية، حتى ينتظم السلك، ويرتبط الملك.

قال السالك: فقلت له: مولاي أما العبد فبصره بك حديد، وقد ألقى السمع وهو شهيد، فإن أيدته بالحكمة وفصل الخطاب، فسيوفق للإصابة في الجواب، فقال لي: ما ولیناك حتى أيدناك ثم قال لترجمانه أول ما تفاتحه به من سر الوحي ولبابه وتفتح عليه من أبوابه فاتحة الكتاب.

قال السالك: فدخلنا مجلس المحاضرة، وفرشنا بساط المناظرة: وجرد الترجمان عن ساعده، وقال: هات الجواب عن فرائد أسرار القرآن وقلائده.

آيات مناجاة الإمام أبي حامد

ركن المعالم والمحامد، قلت: سألت والله حديد عنان الجنان ماضي سنان اللسان.

قال الترجمان: ما تقول في فاتحة الكتاب، قلت: قسمها الباري نصفين حتى لا يصح في الوجود إلهين اثنين، قال: ما فيها من الإشارات والرموز والدرر، قلت: الياقوت الأحمر والأصفر، والعنبر الأشهب والعود الرطب، ألا نظر أيها الترجمان أم الكتاب ليس لها

انتساب، بل هي الإمام المبين لجميع العالمين، فمنهم من علم الإمام فاتبعه ورفعه ومنهم من جهله فحطه ووضعه، هي الأصل الثابت فرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها مع استغنائها عن الماء، وهي المثاني بالنظر إلى المباني، والفاتحة بالنظر إلى الطرق الواضحة، وأم القرآن لمن تخلق بالفرقان.

قال السالك: فما زال يسألني عن جواهر القرآن ودرره سورة سورة حتى أتي على آخره، قال: فلما أكمل الترجمان سؤاله عن جواهر القرآن ودرر الفرقان، طوى بساط المناظرة وسد باب المخاطرة، وتجلى لي المطلوب وقال: على المرغوب، أنت الإكسير وألهمهم النحرير، ركبت جواداً لا يكبو وضربت بحسام ماضي الضربة لا ينبو، وهذا اللوح بين يديك، فاتل ما أوحي إليك.

مناجاة اللوح الأعلى

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

قال السالك: ثم جذبني إليه بيد التحميد وأنزلني في حضرة لوح التوحيد، وهو القلم الإلهي والعلم الرباني، فرأيت مسطراً في ذلك اللوح مقامات أهل الريحان والروح، فرفعت حجاب النعمة فلاح لي توحيد الرحمة، ثم رفعت حجاب الأبدية فلاح لي توحيد القيومية، ثم رفعت حجاب الأنوار فلاح لي توحيد الأسرار، ثم رفعت حجاب النسبة فلاح لي توحيد المشية، ثم رفعت حجاب الإفادة فلاح لي توحيد الشهادة، ثم رفعت حجاب الشفع، فلاح لي توحيد الجمع، ثم رفعت حجاب الخلق فلاح لي توحيد الحق، ثم رفعت حجاب الأمر فلاح لي توحيد السر، ثم رفعت حجاب الترك فلاح لي توحيد الملك، ثم رفعت حجاب السيادة فلاح لي توحيد العبادة، ثم رفعت حجاب التولي فلاح لي توحيد التجلي.

ثم رفعت حجاب الوراثة، فلاح لي توحيد الاستغاثة، ثم رفعت حجاب الإسلام، فلاح لي توحيد الأعلام، ثم رفعت حجاب قرع الباب، فلاح لي توحيد الأسباب، ثم رفعت حجاب الأعمال فلاح لي توحيد الإنزال، ثم رفعت حجاب المسمى، فلاح لي توحيد الأسماء ثم رفعت حجاب الاختبار، فلاح لي توحيد الاختيار، ثم رفعت حجاب الاطلاع فلاح لي توحيد الاتساع، ثم رفعت حجاب الاتباع فلاح لي توحيد الإستماع، ثم رفعت حجاب الريب فلاح لي توحيد الغيب، ثم رفعت حجاب القدم فلاح لي توحيد الكره، ثم

رفعت حجاب التسليم فلاح لي توحيد التعظيم، ثم رفعت حجاب النعلين فلاح توحيد الكونين، ثم رفعت حجاب الثناء فلاح توحيد الفناء، ثم رفعت حجاب المنة فلاح توحيد المنة، ثم رفعت حجاب العرض فلاح توحيد الخفض.

ثم رفعت حجاب خذ العفو وأمر بالعرف، فلاح توحيد الصرف، ثم رفعت حجاب السرير فلاح توحيد المصير، ثم رفعت حجاب الملك فلاح توحيد الإفك، ثم رفعت حجاب الخلاص فلاح توحيد الإخلاص، ثم رفعت حجاب العبادة فلاح توحيد السيادة، ثم رفعت حجاب النار فلاح توحيد الاستغفار، ثم رفعت حجاب الأشراف فلاح توحيد الأوصاف، ثم رفعت حجاب الشرك فلاح توحيد الملك، ثم رفعت حجاب الإحسان فلاح توحيد الإيمان، ثم رفعت حجاب الكفالة فلاح توحيد الوكالة.

قال السالك: فلما ناجاني في هذه المشاهد الكرام والمقامات الجسام، ورأيت فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ولا عثرت عليه غوامض الفكر، قال لي: أيها السالك: أين هذه المقامات من أولئك قلت: ما بينهما نسب ولا سبب، قال: صدقت، ثم قال: أيها الرسول قرب إليه الفرس حتى أناجيه في الجرس.

مناجاة الرياح وصلصلة
الجرس وريش الجناح

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

قال السالك: فامتطيت متن الجواد العتيق وقلت: الرفيق الرفيق، واحترقت بين دقائق ولطائف، ورقائق ومعارف، إلى أن وقفت بي الفرس في حضرة الجرس، فسمعت صلصلة الألحان بوقوع الامتحان، فاقشعر جلدي وزال كل ما كان عندي، ثم هبت عليَّ عواصف رياحه فسترتني بريش جناحه، ثم نفس عني فرأيت العوالم يتساقطون على الأغيار تساقط النسور على الملاحم، وتمثلت عند ذلك بقول الواصل.

تسترت عن دهري بظل جناحه ... فعيني ترى دهري وليس يراني
فلو تسأل الأيام ما أسمى ما درت ... وأين مكان ما درين مكاني

قال السالك: فلما ذهبت تلك الرياح العواصف، وسكنت صلصلة الرعود القواصف،

وقد تنضد الجبين عرقاً، وذبت خوفاً وفرقاً، بسط لي الجناح، وقال: قد مرت الرياح.

هذه الريح لا تمر على شيء إلا جعلته هباءاً منثوراً، وتدمره تدميراً، لأنها ريح الغيرة، فليس تبقى مع مالكها غيره، وأنها لترمي بشرر، ولا تبقي ولا تذر، لواحة للبشر، صرحنا بها في الكتاب الحكيم، وفي عاد إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم، ما تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم، فجعلت هذا الجناح لأصحاب هذا المقام وقاية وجنة، فربما اعترتها لذلك حماية وجنة، فترميه حين تمر عليه بكل مصيب مريش، فتتعلق بأهداب تلك الريش، فربما قلت: منها سهم أو سقط، فأصاب قلب بعض أهل العناية فاغتبط، فترتاح قلوبهم، مسرعة إلى راميها، أسرع السهام إلى مراميها، فعند ذلك يتنشدون، الواجدون والمتواجدون.

لقد رماني بسهم الحب والكلف سهم أصاب فؤاد الواله الدنف

إلى مثل هذا من الأبيات فعندما يتعلق تلك السهام بريش الجناح يسلم من تحت كنفه، بعدما أيقن بذهابه وتلفه، وربما بطلت دعواه في وجده بحضرة الوحي وكلفه، فإن بطلت دعواه، لم ترده على ما أريناه فأنزلناه أسرح ما يمكن وأوحى، وحلنا بينه وبين حضرة أوحى، وربما يتخيل في خلده أن مفاتيحها بيده، كلا إن بينه وبينها مهامه وسباسب تنقطع فيها بأعناق الركائب، ثم لا يصلون إليها من بعد ويتهيؤون في أرضها بين وعيد ووعد، وهي منهم مناط الثريا وإن اشتكى أحد منهم وجده يقول: تعساً لك لقد جئت شيئاً فرياً فيا له من جواب ما أقطعه وكلام ما أفجعه، ينتظرون ولا ينظرون ويسترحمون ولا يرحمون، ويستصرخون فيجابون، اخسئوا فيها ولا تكلمون وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمون.

قال السالك: ثم قال: فإذا ذهبت الرياح، نفشت عليهم الجناح وروحت على قلوبهم وسقتهم الراح، فعندما تروح على أسرارهم لطفاً، يهب من نسيم ذلك النفس على بعض قلوب أحرقها الشوق والاضطرام حناناً وعطفاً، فيسكن عنهم ذلك النفس، بعض ما يجدونه من لهيب القبس، فعندما ينطفي ذلك النبراس، يسمونه أهل الحقائق صاحب الأنفاس، وقد أشرت إليه في المقصورة المتقدمة، وصاحب أنفاس تراه مسلطاً فخذه من ثم وافهمه.

قال السالك: ثم قال لي: قد رأيت ههنا ما رأيت، ونلت الذي تمنيت، قلت: نعم رأيت، بعض ما نويت، ونلت قليلا مما اشتهيت، وعزتك لا وقفت مع حضرة، ولا نظرت إليها نظرة، فإن كا جزء من الكون حجاب، والصفات أسباب، فقال لك: ما أردت وشأنك وما اعتقدت، قلت له: الآن زال غمي، وانجلى ليل همي، قال: إنى موصلك إلى مستقر قلبك، ومقر لبك، قلت له: ليس لى مقر، كلا لا وزر إلى ربك يومئذ المستقر، قلت: الله أريد، فإن فى الربوبية توحيد العبيد، قال: لك طريقة لا تسلك وهمة لا تلحق، ولا تدرك،

لم تدع حجاباً إلا خرقته، ولا ستراً إلا مزقته، ولا عيناً إلا أذهبته ومحقته، فينادي إلى أين فيفنى من مناديها الأثر والعين، فهي لا تستقر بمنزل، ولا توجد عن رحله بمنزل، أنا أناجي بالتبليغ كل سالك وواصل في مقام، فيظن قد بلغ النهاية والختام، فيقول: عندما يسمع الخطاب هذا مقام أوحى إلى عبده فيرجع بالتبليغ من عنده، ولم يعلم أن خطابه إنما كان من حده فيطلب الرجوع إلى عالم الشهادة والمثال، رغبة في الميراث والكمال، فربما يعجز في التمثيل، ويلوح له النقص فيطلب الرجوع للوصول والتحصيل، فاقطع دونه السبيل، وأنت قد ناجيتك في كل حفرة، ونظرت إليك فيها نظرة، ثم نظر بين هسمة ونضرة وفي هذا كله لا تشبع ولا تقنع، ولا تخبط ولا تجمع، وتقول: هذا صار من تحوير فقليل من كثير.

فقلت: من أين كان العبد أن يعرف مولى لولا ما قلت ما نفدت كلمات الله لولا، والعبد ليست له إرادة يطلب بها الرجوع والشهادة وإنما هي الإفادة والزيادة، فإن وقع منك لا مني نطقت عنك لا عني وكانت لي الحجة واتضح لي سنن المحجَّة، فوعزتك لو أبقيتني آباد الآباد، ما طلبت إلا الازدياد، فإني علمت أن النهاية محال، فكيف أرجع عن هذه الحال، فإن أردت مني الرجوع إلى الملك فاشترط، وحينئذٍ تقر عيني واغتبط، قال: وما كنا نشترط، قلت: يكون نوري عليهم منبسطاً أرقيهم بالهمة، وأنا خارج عن كور الغمة، أناجي بواطنهم بقلبك وأنا مخبو في خزانة غيبك، يجدون الأثر ولا يجدون عيناً ويطلبون الأين فلا يجدون أينا، فيكثر هممهم ويقوي إسمهم، حتى أكون في ذلك الإرشاد والهداية، صاحب نهاية وبداية، واخترق وإلا تحترق، وتطلب فلا تلحق، كما تطلب فلا تلحق، فإن صح لي هذا الاشتراط، واستقوى لي هذا الارتباط، فأنا أنشر البساط وأسير بين الانقباض والانبساط، قال: أرق إلى حضرة أوحى أناجيك فيها بما يكون، وأهب لك بها سر القلم والنون، حتى يقول للشيء كن فيكون.

حضرة أوحي

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

قال السالك: فاختطفت مني وأفنيت عني واتفقت أمور وأسرار غطى عليهن إقرار وإنكار، جلت عن العبارة ودقت عن الإشارة، فهي لا تنعت ولا توصف، ولا تحد، ولا

تتـ ـب، وغاية العبارة عنها أن يقال: قلت وقال وانعدم المقام والحال، ولم يبق مثل ولا ضـ ولا مطلع ولا حد، وذهبت الجنة والنار وفنيت الظلم والأنوار، وفني كل قاب ورفرف لم يبق جناح ولا ملاء أشرف، واتحد السؤال والجواب وزال المكتوب والكتاب.

وكان المجيب هو المجاب ومضت البحارة وأحجارها والحقائق أزهارها ومارت السماء وطمست أنوارها فلم أرجع إلى البقاء بالحق بعد ذهاب العين والمحق، حتى وجدت في غيابات لباب سر أسرار روح معنى قلب النفس ما كنت آمله بالأمس، ثم توجني بتاج البهاء وإكليل السناء وأفرغ عليّ حلة الكبرياء وأذن لي أن آذان على سواء وذلك على الشرط الذي قد اشترطته في مناجاة حضرة الرياح، والعقد الذي ربطته بحضرة الجرس والجناح، فأنا اليوم أنادي وأنادي وأهادي وأسري ويسرى إلي وأتوكل ويتوكل علي ووهب لي كل حضرة تحت علمي يخترقها السالكون إلى أسمى، ولا يدركون مني غير ما أدركته، ولا يملك أحد منهم من وجودي سوى ما ملكته هذا إن كانت لهم عندي عناية وسبق لهم في سابق علمي هداية وإلا ففي بحر المعارف يسبحون وفي قعر اللطائف يحيطون، مهد الله بهم السبيل وعرفهم أسرار التنزيل.

باب الإخبار ببعض ما حد لي الستار

أن أخرج ممن سأل من الأبرار مما يحصل لي من حضرة أوحى من الأسرار.

مناجاة الإذن

قال السالك لما أذن لي أن آذن على سواء وأن لا أقف في موقف السوي وأن لا أتعدى في الخطاب حضرة الكرسي فإنه مقر التبليغ العلي، والميراث النبوي برزت لكم مخبراً وناهياً وآمراً فإياكم أن تظنوا اتصالي بحضرة أوحى اتصال انية إن هو إلا وحي يوحى، وبرهاني على ذلك تعريفي لكم فيما تقدم حتى الآن إني سالك وإني ما قبلت منه تبليغ القسط الأعلى الشرط المتقدم والربط فلا تنسبوني إلى الإيجاد الفرد فإنه السيد وأنا العبد وإنما هي رموز وأسرار لا يلحقها الخواطر والأفكار إن هي إلا مواهب من الحنان جلت أن تنال إلا ذوقاً ولا تصل إلا لمن له هو فيها مثلي عشقاً وشوقاً.

قال السالك: لما انتهى بي إلى هذه الحضرة القدسية، جردني عن الغلائل السندسية، وأوقفني عرياناً ببابها لأرغب متضرعاً أن يطلعني على ما بها حتى يصح افتقاري وتنكسر فقاري فلما علمت ما أراد أو قر في نفسي صورة الإنشاد وهز البسيط، فاهتز التخطيط، وقلت: قارعاً بابه قول من فارق أوطانه وأحبابه.

يا من إليه تضرعي   كم ذا تريد تمنعي
كم ذا طلبت وصالكم   بتبتل وتخشع
كم ذا سمت تنفسي   أه يا فواد تصدعي
قلب يذوب وزفرة   تعلو لفرط تولع
يا عين بالنظر الذي   قد نلت منه تشفعي
واهمي الدموع ببابه   وتملقي وتصنعي
يا نفس موتي لوعة   وعلى الحبيب تقطعي
شوقاً إليه لعله   يرثي لرسم بلقع
لما وقفت ببابه   بتنهد وتضرع
وتحنن وتعطف   بتغصص وتجرع
نادى الحبيب من الذي   بالباب قلت: فتى دعي
قال: ادعى هل شاهد   يدريه قلت: نعم معي
إن كنت أكذب سيدي   حسبي شهادة أدمعي
وتسهدي وتبلدي   وتوجعي وتفجعي
وتلهفي وتحيري   وتشرعي بتشرعي
ما زلت أسهر باكياً   حتى بكاني مضجعي
شهدت بذلك زفرتي   وسنا النجوم الطلع
قال لي: صدقت فما الذي   تبغيه قلت تسمعي
قصدي الغروب وظاهري   يطوي الطريق لمطلع
بعض المهامه قاصداً   نحو الأعز الأمنع
يا ظاهراً من ظاهر   كم ذا تقول تمنع
لا تحجبن نواظري   بسنا المحل الأرفع
وهب الذي أملته   يا ذا الجلال الأروع
أين الحجاب ولم يزل   ما دمت إنساناً معي
لما حميت بأربع   برح الخفا وأربع
علمي بعلمك قائم   وكذا العيون ومسمعي
وكذا الحياة وقدرتي   والذات ذاتك ادعي

والـقـول قـولـك والإرا ... دة مـثـلـه فـتـطـلـع
يـ عـيـن لا تـبـكـي عـلـيـ ... ـه الـيـوم شـوقـاً واقـلـعـي
ـو كـان يـتـرك غـيـره ... لـبـكـيـتـه فـاسـتـمـتـعـي

قال السالك: فلما سمع شعري المترجم عما وقر في صدري ووقر في حقيقة أمري، فتح الباب ورفع الحجاب، وقال: استمع ما أورده عليك، ويا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك.

مناجاة التشريف والتنزيه

والتعريف والتنبيه

على التقويم الأكمل الأحسن، والحق الأجمل الأتقن المحفوظ المصون في الم والتين والزيتون الذي نبهت عليه بالقبس في حضرة القدس حيث قلت:

هـب الـنـسـيـم مـع الإمـسـاء والـغـلـس ... بـعـرف روض الـبـهـا مـن حـضـرة الـقـدس
وشـم بـريـقـاً بـأفـق الـبـيـن لاح لـنـا ... يـدل أن عـيـون الـمـاء فـي الـنـبـس
ألـم تـروا لـكـلـيـم الله كـيـف بـدا ... لـه الـخـطـاب مـن الأشـجـار فـي الـقـبـس

قال السالك: كان ما قيل لي في ذلك التشريف والتنزيه، والتعريف والتنبيه، إن قال عبدي: أنت حمدي وحامل أمانتي وعهدي أنت طولي وعرضي، وخليفتي في أرضي، والقائم بقسطاس حقي، والمبعوث إلى جميع خلقي.

عالمك الأدنى بالعدوة الدنيا، والعدوة القصوى، أنت مرآتي ومجلي صفاتي، ومفصل أسمائي، وفاطر سمائي، أنت موضع نظري من خلقي ومجتمع جمع وفرقي، أنت ردائي، وأنت أرضي وسمائي، وأنت عرشي وكبريائي.

أنت الدرة البيضاء، والزبرجدة الخضراء، بك ترديت وعليك استويت، وإليك أتيت، وبك إلى خلقي تجليت.

فسبحانك ما أعظم سلطانك، سلطانك سلطاني، فكيف لا تكون عظيماً، ويدك يدى فكيف لا يكون عطاؤك جسيماً، لا مثل لك يوازيك، ولا عديل لك يجاريك.

أنت سر الماء، وسر نجوم السماء، وحيوة روح الحيوة، وباعث الأموات.

أنت جنة العارفين، وغاية السالكين، وريحان المقربين وسلام أصحاب اليمين، ومراد الطالبين، وأنس المعتزلين المنفردين المنقطعين، وراحة المشتاقين، وأمن الخائفين، ووحشة

العالمين وميراث الوارثين، وقرة عين المحبين، وتحفة الواصلين، وعصمة اللائذين، ونزهة الناظرين، وريا المستنشقين، وحمد الحامدين.

أنت درر الأصداف، وبحر الأوصاف، وصاحب الاتصاف ومحل الإنصاف، وموقف الوصاف، ومشرف الأشراف، وسر الأنعام والأعراف.

طوبى لسر وصل إليك، وخر ساجداً بين يديك، له عندي ما خبأته وراء حدي، وقد ناجيتك به في المطلع عند ارتقائك عن المحل إلا رفع عبدي أنت سري، وموضع أمري، وهذا موقف لعلوك على كل الموجودات، وتشريفك.

أنت روضة الأزهار وأزهار الروضات، ومغرب الأسرار وأسرار المغرب، ومشرق الأنوار وأنوار المشرق.

لولاك ما ظهرت المقامات والمشاهد، ولا وجد المشهود ولا الشاهد ولا حمدت المعالم والمحامد، ولا ميز بين ملك وملكوت. ولا تدرع لاهون بناسوت.

بك ظهرت الموجودات وترتبت، وبك تزخرفت أرضها وتزينت، عبدي لولاك ما كان سلوك ولا سفر، ولا عين ولا أثر ولا وصول ولا انصراف، ولا كشف ولا إشراف، ولا مكان ولا تمكين، ولا حال ولا تلوين.

ولا ذوق ولا شرب، ولا قشر ولا لب، ولا عبد ولا رب ولا خطاب، ولا نفس، ولا هيبة، ولا أنس، ولا نفس ولا قبس، ولا فرس ولا جرس.

ولا جناح ولا رفرف ولا رياح ولا موقف ولا معراج ولا انزعاج، ولا تحلي ولا تجلي، ولا جود ولا وجود ولا حمد ولا محمود ولا تداني ولا ترقي ولا تدلي ولا تلقي، ولا هين ولا لين ولا غان ولا رين، ولا كيف ولا أين ولا جمع ولا بين، ولا فتق ولا رتق ولا جمع ولا فرق ولا ختم، ولا ختام ولا وحي ولا كلام، ولا مضى برق ولا حق ولا خلق، ولا إصاخة ولا إستماع ولا لذة ولا استمتاع ولا سلخ ولا انخلاع، ولا صدق ولا يقين ولا خفي ولا مبين، ولا مكشاة ولا نور ولا ورود ولا صدور، ولا ظهر لصفاتي عين ولا تحقق وصل ولا بين، ولا كان عرش ولا مهد فرش، ولا رفع غمام، ولا أشرقت الأنوار على الأسوار ولا جرت بحال الخلق على الأطوار، لولاك ما عبدت ولا وحدت ولا علمت ولا دعوت ولا أجبت ولا دعيت ولا أجبت ولا شكرت ولا كفرت ولا بطنت ولا ظهرت ولا قدمت ولا أخرت ولا نهيت ولا أمرت ولا أسررت ولا أعلنت ولا أخبرت ولا أوضحت ولا أشرت.

أنت قطب الفلك ومعلم الملك، رهين المحبس وسلطان المقام الأقدس.

أنت كيميائي وأنت سيميائي أنت أكسير القلوب وحياض رياض الغيوب، بك تنقلب الأعيان أيها الإنسان، أنت الذي أردت وأنت الذي اعتقدت، ربك منك إليك ومعبودك بين عينيك ومعارفك مردودة عليك، ما عرفت سواك ولا ناجيت إلا إياك.

مناجاة التقديس

وأنا الواحد الذي لا تحيط بي الأفكار ولا ينتهي إلى الأسرار ولا تدركني البصائر ولا الأبصار وأنا اللطيف الخبير الحكيم القدير أنا كما كنت عدمت أو وجدت ما طرأ حال كنت عدمته ولا فقدت شيئاً ثم وجدته، علمي ببسيطك وقدرتي ظاهرة في تخططك، تنزهت عن التنزيه وكيف عن التشبيه في العجز معرفتي على الكمال، وهي حضرة الجلال، ليس لي مثل معقول ولا دلت عليه العقول، والألباب حائرة في كبريائي والأسرار مطيفون بعرش ردائي، أنت وأنا حرف ومعنى بل معنى ومعنى أنت المثل الخفي المنقول اللغوي وأنا الواحد الجلي أنت الواحد وأنا الواحد والواحد في الواحد بالواحد فإذا ضرب الفرد في الفرد بقي الرب وفني العبد، وهذا السر الخارج لك ولأصحاب المعارج، ولا تضاعف يلوح لذي عينين ولا تكاثف إلا من حيث البين.

مناجاة المنة

عبدي خرقت لك الحجاب، وأظهرت لك الأمر العجاب، حتى أتيت قومك باللباب، فقالوا: ساحر كذاب، عبدي وهبتك أسرار الأخلاق، وملكتك مفتاح أسمى الخلاق، فقال لك الكافرون: إن هذا إلا اختلاق، عبدي ملكتك سر النون، من قول: كن فيكون فقالوا: ساحر مجنون، عبدي أتيتهم بأسرار الكوثر فقالوا: إن هذا إلا سحر يؤثر.

عبدي أعطتك القوافي زمامها، ورفعت لك المعاني معالمها وأعلامها فجريت سابقاً في حضرة الناظم والناثر، فقالوا: ما هذا رسول بل هو شاعر.

عبدي كشفت لك عن النور المبين، وأطلعتهم على علم اليقين، فقالوا: هذا إلا زبر الأولين.

عبدي أبرزتك في الحضرة الإلٰهية، ومحوتك عن الكيفية والماهية، ولو كنت مطلعاً عليها أحد أطلعتك وموقفاً عليها غيرك أوقفتك والغير لا يصح فكيف ذكرته أو من الذي نهيته وأمرته.

عبدي أوقفتك على أن العرش ظلك، ووبل الأسرار طلك، وإنك العرش المجيد، الغني الحميد، فما ظن الظان بوبلك، وأين هو من مواقع نبلك، لقد أيدتك بالأسماء، وعرجت بك إلى السماء، وجاوزتك على الرفرف وأطلعتك على كل مقام وموقف، وكنت بها السيد المعلى، والمورد العذب الأحلى، والصارم العضب المجلى، وكل من ادعى لك الأمانة في الطريق، فأنت سره على التحقيق، وهو ما أوقرته في نفس الصديق، وهو التوارث المجيد، عن أهل الجمع والوجود.

قدرك أرفع من الإمامة، فإنها موقوفة على من نظر خلفه وأمامه.

والجهات موضع الزيادة والنقصان، ومحل الربح والخسران وأنت منزه عن ذلك، إذ أنت الملك والمالك، ثم تجليت، لك في قاب قوسين، ومحوت عنك فيه الأثر والعين، وأعدمتك النجدين، حتى لم يبق نك في العين إلا إنسانها، وأبرزتك في الموجودات إنسانها وانتظم الشمل، والتحق الفرع بالأصل، واتحدت الأمور، وذهبت القشور، ولاح كمال الوجود، ورأيت أن العابد هو المعبود.

عبدي النعم كلها بين يديك، ولباب التوحيد بين عينيك، طال وعزتي ما كنت في الحضيض إلا وهد، والليل المحلو لك الأربد، لا يستقر بك قرار، ولا يطلع عليك نهار، فأردت من أجنادك أن يسرعوا إلى حضرة يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا، فاطلعت البدر المرموز في ليلتك الحندسية، ومملكتك الندسية، محرف أعدا في إهابها ونزع محلولك جلباً بها، فصارت كأنها قطعة بلور، ترفل في غلائل النور.

ثم جئت بك على ظلل من الغمام على هسائم دنسها الفتام فأمطرت القيعان والآكام، فتعممت صلع هامات الربا وبارزت الأهضام واحترقت بتلك المقامات وحليت لقدومك الحضرات لك في كل حضرة فسطاطاً، وأشرت لك فيه من الذكر الجميل بساطاً، ولم أزل أرقيك عن هذه النسب حتى حجبتك بالمسبب عن السبب، وقلت لك: أنا المريد، وأنا المبدىء المعيد، نبهتك بذلك على الرجوع مما وصلت إلى المقام الذي عنه انفصلت رجوع راق لا رجوع فراق.

مناجاة التعليم

عبدي أنت من عرائسي الذين خبأتهم في خزائن الغيوب غيره أن يطلع عليهم أسرار أرواح القلوب، فهم لدينا محضرون صم بكم عمي فهم لا يرجعون، من استمسك بزمامهم، وصلى خلف إمامهم حصل في غاية عناية خاتمة الطور ووقف على معاني الكتاب المسطور،

وعلى الله قصد السبيل فمن شاء أن يقف على حقائق المعاني، فليتخلق بالقرآن العظيم والسبع المثاني، ما فرطنا في الكتاب من شيء من أحب أن يفيض على عالم البسيط والتخطيط فليكن القرآن المحيط يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب، بين حمد العارف والوارث، ما بين القديم والحادث.

قل: كل يعمل على شاكلته أسمى الأعظم الأمجد، في العبد الأكرم الأمجد، وفي أنفسكم أفلا تبصرون هو السر الفعال الأوحد، لا يناله إلا من ارتقى ثم خلد وكذلك آتيناه آياتنا فانسلخ منها، العارف من كره القطيعة، وخرق حجاب الشريعة فهو يقول ولا يمن، الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن، من سلك لواذاً، وصير الأصنام جذاذاً، وامطر وابلاً ورذاذاً وجب أن يقول الحمد لله الذي هدانا لهذا.

من قال باللام وحده، وقف على ما حصل عنده، وجاوز إلى مطلعه حده، ولن ير مثله ولا ضده وملك وعيده ووعده، وأمن قربه وبعده، وعرف أنه لا يأتي أحد بعده، قال: الحمد لله الذي صدقنا وعده من اتبع الخليفة، أمن من كل خيفة، وصارت الأسرار به مطيفة، وحصل بالرتبة المنيفة، وأولى الأمر منكم لا تنسبه إلى العدوان، فلا فاعل إلا الديان، قل كل من عند الله من طعن في الوزير ورد أمره سفه الأمير وجهل قدره، من أطاع الرسول فقد أطاع الله، هو صاحب الصفات والأسماء، واعلم أن الوصف يريك الموصوف والاسم يريك المسمى، وعلم آدم الأسماء وأوتيت جوامع الكلم لا يأبى عن أكل الشجرة إلا الكفرة، من أكل من شجرة حرم مقامات البررة شجرتان تسقى بماء واحد كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك في الوفاء بالعهد الأزلي، مفتاح العهد الأبدي هل جزاء الإحسان إلا الإحسان.

مناجاة أسرار مبادىء السور

عبدي بلغ إليَّ عني وقولي الحق، وخاطب بلسان أهل الجمع والفرق، فأنا المتكلم وأنت اللافظ وأنت المبلغ وأنا الحافظ، قل لهم عني، وأنا المخاطب إلي مني أن مبادىء السور المجهولة، لأهل الصور المعقول، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء جملتها تسعة وعشرون سورة، وذلك كمال الصورة، والقمر قدرناه منازل أكملت فيها العالم بأسره وفرقت بيني وبينهم بما لوحت به من نهيه وأمره، إنني أنا الله لا إلٰه إلا أنا فاعبدني، منها مفرد ومثنى، ومنها جمع لمعنى، وإن شكرتم لأزيدنكم منها ما زيد فيه فاستغني.

ومنها ما نقص منه فتغني، أو لم يروا أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها متماثلة الصور ومختلفة، كما منها مفترقة ومؤتلفة ولو شاء الله لجعل الناس أمة واحدة غايتها خمسة

حروف وبقي اثنان الواصف والموصوف من مقام آدم وحوا في جنة الإقامة ومأوى الإمامة فكلا من حيث شئتما مبلغها ثمانية وسبعون، فمن كوشف بحقائقها ملأ الأعلى والدون، في سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً فاسلكوه، لكل باب منهم جزء مقسوم فما أفردت منها فلبقاء الرسم أزلاً وما ثبت فلوجوده حالاً وما جمعت فللأبد استمراراً يرسل السماء عليكم مدراراً، فالأفراد للبحر الأزلي... وللبرزخ المحمدي والجمع للبحر الأبدي.

عبدي انحصر لك وجود هذه الحروف بالحرم إلى ثلاثمائة آلاف وخمسمائة واثنين وثلاثين على غاية البحث والحزم وأول التفصيل من نوح إلى شروق يوح ثم إلى آخر التركيب الذي تنزل فيه الكلمة والروح فبعد عدد تضربه وتجمعه وتحط منه طرحاً تضعه يبدو لك تمام الشريعة حتى إلى انخرام الطبيعة وهي التي بقيت من نون والقلم إلى آخر الكتاب العزيز الأكرم، فمبعث محمد ﷺ من سورة النجم إلى كافة العرب والعجم، ومن سورة البقرة إلى بعث الرسل لديها وليس لهم في الفاتحة نصيب، ولا رموا فيها بسهم مصيب، فاختص بها محمد عليه السلام على الرسل الكرام فهي قوله متى كنت نبياً، قال: وآدم بين الماء والطين فكان مفتاح النبيين وقد ملك من سورة النجم إلى آخر القرآن العظيم، وتفرد ما بينهما في أصلاب المقامات إلى عنصره الكريم، فصح له الوجود أجمع، واختص بالمحل الأمنع أوتيت جوامع الكلم فما بقي لك بعد الوضع والطرح فذلك أوان النزول والفتح، وهو نظير المقدس من القرآن الذي يليه الأقدس تقديسه بالنازل فيه وقد أشرت لك إلى معانيه وما يعقلها إلا العالمون.

عبدي هذا باب يدق وصفه ويمنع كشفه الأعداد حجب على عينك أيها الإنسان وإنما هي أسطار نور خضر خلف حجاب الترجمان تلوح، لمن سقته المشيئة بوقوفه عليها حتى تودعه ما لديها فاستعمل المجاهدة، وتحل بالموافقة والمساعدة عساك تلتذ بهذه المشاهدة عبدي جعلت ما بعد هذه الحروف في موضع التفسير، ومحلاً للتعبير ومبحثاً للناقد البصير، صاحب السر والإكسير، ومن لا يقنع من الوجود بالنزر اليسير، وجعلها على ضربين، الذي عينين، ضرب لا ينقسم وضرب آخر ينقسم، عجباً للظاهر ينقسم، وللباطن لا ينقسم، فالظاهر شمس في حمل، والباطن في أسد حلم.

حقق وانظر معنى سترت من تحت كثائفها الظلم
إن كان خفي هو ذاك بدا عجباً والله هما القسم
فافزع للشمس ودع قمر في الوتر يلوح وينعدم
واخلع نعلي قدمي كوني على شفع يكن الكلم

لكن انقسامه على ثلاث، وهي حقائق الموائد الثلاث فأما الضرب الذي لا ينقسم بالبرهان فسورة آل عمران، والضرب الذي ينقسم الموصوف، ما عداهما من سور أسرار الحروف، والثلاث الذي ينقسم إليها المخاطب ومخاطب ومخاطب به فاستيقظ أيها الراقد من سنة الغفلة وانتبه ثم تتفرع على اثنتي عشرة عيناً، وهو كمال العالم الروحاني والجسماني لكل عالم إلٰهي والثالث عشرة عيناً، وهو كمال العالم الروحاني والجسماني لكل عالم إلٰهي والثالث عشرة الضرب الذي لا ينقسم، وفيه علمت الأسماء وجوامع الكلم، فمنها ما هو لرفع الشك والريب فيما ظهر من الغيب وهي البقرة وآلم السجدة.

ومنها ما هي لرفع الحرج عمن يأتي ودرج وهي الأعراف وطه والشعراء، ومنها للتعريف بالعناية أزلاً أولياء وأنبياء ورسلاً، وهي يونس ومريم عيلهما السلام، ومنها للمتفرق والمجتمع، والحجر الذي لا ينصدع، وهي هود وفصلت والشورى والدخان والمؤمن، ومنها لتأكيد التبيين في المعقولات، والأخبار بالمفترقات، وهي يوسف والزخرف والقصص والروم.

ومنها لاعتبار التركيب، لأهل النظر والتهذيب، وهي قاف والجاثية، ومنها الهداية في النبوة والولاية، وهي إبراهيم والنمل ولقمان، ومنها لتحقيق النزول في الإيمان بالعمل الغائب عن العيان وهي الرعد، ومنها لتا. . . التوجيه، والعصمة بالقسم في محل التنزيه وهي يونس ونون و. . . ، ومنها لطلب الدليل، في مقابلة خصم الصل، وهي الأحقاف، ومنها لتأكيد تبيين التهديد بالوعيد وهي الحجر والعنكبوت فسلم الألف من هذه الحروف للذات وعد ما بقي لك منها من الصفات ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الرعد: ٣٣] .

مناجاة جوامع الكلم ـ مناجاة السمسمة

عبدي سمت بك سمسمة سموء أسماء أسباب سماء السمات على لطافة ذاتها المسخرة ذات أفلاك الذوات، فأين أنت من هذه النسبة لقد جاءت بأعلى طالع هذه النصبة، على أنها قد خفيت عن الأوهام وغابت أن يعير عن جلي ظاهر أمرها صاحب وحي وإلهام، فلو تاه التائهون مداداً لكلمات في مفاوز العجز والحيرة وقطع العارفون بحار الهمم على سفن الغيرة ظاهر فعلك يقفون وما يصدر عنك يعرفون، سمسمة حلت وجالت جولان الحائم وعلمت وقالت مقالة ذي اللوعة الهائم، فنيت شوقاً لا اشتياقاً، وقطعت مفاوز خفيات الغيوب خبباً وأعناقاً، ولم أبلغ من بعد سقة مغناك فمن لي بوترية معناك.

سمسمة تلعت فكسفت، وراحت فلاحت، وأومضت فغمضت وهفت فسفت، وسكنت فتمكنت، وطالت فصالت.

فلما قيل لها: أنى لك هذا، قالت: إنها تخلقت بهمة صدرت من أثر فعل صفة ذلك، فرقت إلى ما شاء هذا السائل، من أثرها عن وجود صفاتك، فغابت عن الأين والكيف، ومطالعة العدل والحيف.

سـمـسـمـة ربـة أمـثـالـهـا　　جـلـت فـمـا يـدركـهـا سـمـسـمـة
لـمـا رأت سـرك يـسـري لـهـا　　قـالـت لـه: يـا سـيـدي سـم سـمـه
فـحـارت الـعـيـن إلـى درة　　تـقـول إعـجـابـاً إلـى الـشـمـس مـه
فـأيـن ولا أيـن فـي عـلـمـه　　وكـيـف ولا كـيـف فـي حـكـم مـه

مناجاة الدرة البيضاء

عندي درة عذراء، غضة بيضاء، أبرزتها من قعر بحر ذاتي، ما عرفت قط صفة من صفاتي، ثم خبأتها في سواد العين، وما عرفت الوصل ولا البين، غيرة من أن تنال أن تشتهي، أو تعرف كشفاً أو معمى، فلما جذبتك إلى عناية القدم السابقة، ورقت بك في جوامع الكلم الصادقة، وحططت كن عن قواك وأدخلتك محلي وجب علي قراك، حتى تعبر عنك شواهد التحقيق بلسان حالها وأنت ساكت، تفعل وتنفعل عنك المكونات وأنت مائت ومدرك هذه المرتبة العلية الفردية، باتصال الحياة الأزلية الأبدية، مع وجود الحبس في قيد اليوم والأمس، وهذه بين يديك موائد الأقصا، فتناول منها إحصاء ما لا يحصى، فكل من طعام الذات بالذات، فكثير من الطالبين أرادوا باء الرسوم لوجود اللذات فاسبح وحدك في نهرك، واقرأ ما سطرته في مهرك، أنكحتك درة بيضاء، فردانية عذراء، لم يطمثها إنس ولا جان، ولا أذهان ولا أعيان، ولا شاهدها علم ولا عيان، ولا انتقلت قط من سر الإحسان، لا كيف ولا أين، ولا رسم ولا عين، اسمها في غيب الأحد نعمى الخلد ورحمى الأبد، فادخل بخير عروس قبة التقديس، فهذه البكر الصهباء واللجة العمياء، خذها من غير مهر عملي، ولا أجر نبوي.

قال السالك: فانتضضتها في مجلس سر غيب ذاته بسر الوهم اليثربي، فإذا بها مهرة النبي، فتهت فرحاً، وسحبت ذيلي مرحاً، وقرأت إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدون، فخرت غوامض الأسرار ساجدات وقامت صفات الصمدية متهجدات. فصح لي في ذلك الإفلاس، المقام الذي نبه عليه قوله عز وجل ملك الناس.

مناجاة إشارات أنفاس النور وهي
تمحيض متفرقات الأسرار

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم، قال السالك ثم قال لي: ما تقول ما هو أنا في أنا، قلت وجود البغية والمنى والخيبة والعنا.

قال: فما تقول في هو وذلك قلت: كلاهما صفتا المالك غيبة وحضور، وظلام ونور، ومخدرات وخدور.

قال: فما تقول في التحام الأجسام، قلت: نتيجة التحام الروحانية، قال: فما تقول في التوالد والتناسل قلت: نتيجة التواصل والتفاصل.

قال: فما تقول في النشأة البرزخية، قلت: تلك الإلٰهية، قال: فهل الإعادة أشرف منها، قلت: لا يصح الإعادة فيها ولا يتحدث بذلك عنها، إنما ذلك في برزخ الحافرة، المنصوب بين الدنيا والآخرة.

قال: فهل تصح العودية على البداية، قلت: لا يكون ذلك في الحكمة العدلية، قال: هل تعقل على أوان إخراج الذر من الظهر، قلت له: كيف لا أعقل وأنا أول الشهود في المهر.

قال: فهل تعرف قبل ذلك ميثاقاً ثاني، قلت له: في أول وجود التداني، قال: فأرى ميثاقين، قلت: لا يكون غير هذين.

الإشارات الآدمية

قال السالك: ثم خاطبني بلغة آدم عليه السلام وقال لي: أيها الغلام من أين؟ قالت الملائكة بالفساد في حال شهودها قلت: من نفس وجودها، قال: فلم جهلت الأسماء قلت: لأنهم ما برحوا في السماء.

قال: فلم وقعوا له ساجدين، قلت: لصحة التعيين، قال: فلم أبى من أبى واستكبر قلت لحجابه بالطينية عن النور الأزهر، قال: لم يكن النجم وكانت الشجر، قلت: لوجود الخلاف الذي ظهر، قال: لم نسقها من ماء واحد، قلت: بلى ولكن فضل بعضها على

بعض في الشاهد، قال: فلم اقتحم النهى مع العصمة قلت: لظهور هذه الحكمة.

قال: فما سر ظهور غاية سوءاتهما قلت: معاينة ممكنات غاياتهما، قال: فلم طفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة، قلت: ليكون لهما عن ملاحظة الأغيار جنة، قال: فما نظيرهما في الوجود، قلت: القلم واللوح المشهود، قال: فلم أفرد آدم بالمعصية دون أهله، قلت: لأنها بعض من كله، قال: لما حجر النعيم عليهما قلت: ليثبت عبوديتهما، قال: لم أضيف الزلل إلى الشيطان ولم يكن له على ذلك سلطان، قلت: لجعلك إياه في الشاهد صفة نقص ودليل خسران، قال: لم جعل بعضهما لبعض عدواً في هذه الدار قلت: ليستغنيا بتأييدك فيصح منهما الافتقار، وينفرد جلالك بالعزيز القهار، قال: فلم تبت عليه بتلقيه الكلمات العلية، قلت: لأنه تلقاها من حضرة الربوبية، قال: لم قبل قربان الابن الواحد دون أخيه، قلت: لأنك جعلتهما أصل بنيه وهما قبضتان فلا بد أن يختص أحدهما بالرضا والآخر بالخسران، قال: لم كان الغراب له معلماً، قلت: لأنك ألبسته ثوباً من الليل مظلماً، فأعطاه العلم فعلاً وحالاً فكساه من ظلام القبر سربالاً.

قال: فلم أضاف خلقه ليديه، قلت: لما لم يتقدم مثله عليه، قال: لم أتى إبليس ابن آدم من جميع جهاته لا من أعلاه، قلت: لئلا يحترق بنور الأمر من مولاه، قال: فهلا أتى من أسفله فيغويه، قلت: لأنه يدعوه فلا فائدة فيه، قال: لم تمكن إبليس من آدم في دار الاتصال، قلت: لأن في آدم جزؤ من الصلصال، قال: والحمأ المسنون، قلت: إشارة سر برزخي بين الأعلى والدون.

قال: فلأي معنى قال: لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال وهو حقيقة، قلت: لامتزاجه ببقية العناصر فأختلت عنده طريقه، قال: لم جمع له بين لا يجوع ولا يعرى، ولا يظمأ، ولا يضحى، والترتيب على خلاف ذلك فما الحكمة أيها السالك، قلت: الحرارة سبب الظمأ فلذلك قرنه مع الضحى، والجوع تعرية باطن الحيوان فلذلك قرنه بتعرية ظاهر الأبدان.

قال: فلم أجتبي قبل أن يتاب عليه، قلت: سابقة قدمه سبقت إليه قال: من أين صح له أحسن تقويم، قلت: لأنه على صوره القديم، قال: فلم رد إلى أسفل سافلين، قلت: إشارة إلى الطين، قال: فلم أستثني برفعه بالصلاح، قلت: إشارة إلى صفة الأرواح الواهبة علة الصلصال القائمة بالأشباح، قال: نعم ما به أجبت قلت له: بك تكلمت.

الإشارات الموسوية

قال السالك: ثم خاطبني بلغة موسى عليه السلام وقال ما يقول العبد المستسلم لم فتن

قوم موسى من بعده قلت: ضايفة السيد لعبده، قال: لمَ ظهر لقبضة الأثر في العجل خوار، قلت: تنبيه على أن الحياة في اتباع الآثار، قال: لم ضرب له ميقات، قلت: ليعلم أنه تحت رق الأوقات، قال: لم جاء العدد بالليل ولم يجيء بالنهار، قلت: لاحتجابك عن الأبصار، فجعلته يسلك أربعين مقاماً من مغيبات الأسرار، فصح له الاتصال عند الأسحار، وانتظم بها في شمل أمة محمد ﷺ الداعي من مقام الأرواح، في تخلقهم بالأربعين صباح، وهو ميقات الوارثين فشرف بذلك كليم رب العالمين، ولذلك كان منه مع محمد عليهما السلام في أمر الصلاة ما شهر، لأنه في أمته، فطلب الرفق بإخوته كما ذكر، وذلك لما وقع هنالك في حدسه أن محمداً ﷺ سيقول لا يكمل عبد الإيمان حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه، ألا تراه ﷺ قد قال في موسى لو كان حياً ما وسعه إلا يتبعني، فأوضح لنا المعنى، وتبين لنا حقيقة أنه منا.

قال: لم ضرب بعصاه الحجر، فانفجر والبحر المغلق فانفلق، قلت: سر ذلك في العصا، فلذلك انفجر الحجر ماء وسر القيومية فيها فلذلك أظهرت في البحر يبساً، قال: فلم خلعت النعلان، فلت: إشارة لزوال شفعية الإنسان، قال: فلم خص بالكلام، قلت: ليتقرر في نفسه نيل حظه من ميراث محمد عليه السلام، ولذلك كان في ألواحه تفصيل كل شيء علم في مقابلة جوامع الكلم، قال: فلم سأل الرؤية وهو يعجز عن النظر، قلت: حتى لا يبقى له من الميراث أثر، قال: فلم أمرناه أن يكون من الشاكرين، قلت: لتزيده في القرب والتمكين حتى يراك بعين محمد ﷺ حين أسرى به في عليين.

قال: فلم ألقيناه في التابوت، قلت: وهل ظهرت الحكمة إلا بوجود الناسوت، قال: فلما ألقيناه في اليم إشارة إلى العلم، قال: وكيف يصح اليم مع العلم، قلت: لولاه ما صح عند ذوي الفهم، قال: فلم طلب العون بأخيه، قلت: رحمه بمخاطبيه لئلا يذهبوا عند مشاهدة الكلام من فيه، إذ من كلمك برفع الوسائط، كيف يحمل خطابه كثائف الوسائط.

قال: فلم قلب العصا ثعبان، قلت: وجزاء سيئة سيئة مثلها وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان، قال: ولم خاف وهو معنا في حال التمكين، قلت: لقوله إن معي ربي سيهدين، قال: لم أخرج يده من جيبه بيضاء من غير سواء، قلت: تنبيه للإنسان أنه عند خروجه من غيبه من العلل بري، قال: فلم قال: سنعيدها سيرتها الأولى، قلت: بشرى لموسى بمقام الفنا وتصحيح اللقا، فلم ألقى الألواح قلت: إذا فتح الباب ما يصنع بالمفتاح، قال: فلم كانت البقرة جبروتية قلت: لأنها سرحت من مروج الحضرة البرزخية، قال: وهل الشرف إلا في الملكوت الأعلى قلت: جمع الطرفين في حق الإنسان أشد وأغلى، وأولى، قال: فلم حي الميت ببعضها قلت: إشارة أن شطر الجنة من جهة عرضها، قال: فلم كانت الحياة

بالضرب. قلت: حجاب على القلب عن معاينة القرب، قال: كيف استشاط غيظاً على أخيه وفي نسخته الهدى الرحمة، قلت: إنما أعطيتها إياه بعد ما سكت عنه الغضب لطلب النعمة.

الإشارات العيسوية

قال السالك: ثم خاطبني بلغة روحه، وأمدني بفيضان نوحه، وقال لي: لم كان عيسى كمثل آدم عليهما السلام، قلت: إن الآخر نظير الأول في أكثر الأقسام، قال: لم لم يكن له والد، قلت: لأنه من أركان الدليل على المفتري الجاحد، قال: كيف، قلت: إنه الآخر وبعده محمد خاتم النبيين، قلت: تلك بداءة نشأة السيادة على العالمين، إذ كان نبياً وآدم بين الماء والطين، فلا مناسبة بين السيد والعبد إلا من حيث العناية والوجود.

قال: لم أيد عيسى بالروح، قلت: ما رقمه قلم في لوح فقذف في الرحم من غير شهوة، فلم يكن له عن طرح الأكوان سلوة.

قال: فمن أين صدر هذا الروح، قلت: من حضرة قدوس سبوح، قال: فلم تكلم في المهد، قلت: شاهد ثان على أهل الجحد، قال: وهل تقدم قبله شاهد في العلة، قلت: هز مريم جذع النخلة.

الإشارات الإبراهيمية

قال السالك: ثم خاطبني بلغة خليله، وقال: عليك بحسن الجواب وقيله، أيه ما وجود الكوكب والقمر والشمس، قلت: إطاعة على الروح والعقل والنفس.

قال: لم أثبت لهم الربوبية، قلت: لما لحظ لهم القهر على النشأة الترابية.

قال: فلم قال: وجهت وجهي للذي فطر السمٰوات والأرض، قلت: لما رأى بعضهم يفضل على بعض، قال: تراه لم نظر في النجوم وقال: إني سقيم، قلت: إشارة إلى حكمة علوية قد صدرت من اسمه الحكيم.

قال: لم طلب رؤية الأحياء مع ثبوت الإيمان، قلت: ليجمع بين العلم والعيان، وفي مثل هذا قال الحسن وقد أحسن:

ألا فاسقني خمر أو قل لي هي الخمر ... ولا تسقني سراً إذا أمكن الجهر
وبح باسم من تهوى ودعني من الكنى ... فلا خير في اللذات من دونها ستر

قال: فلم دللناه على أربعة من الطير، قلت: له إشارة إلى العناصر لا غير، قال: فلم اتخذ ابنه قرباناً، قلت: ليصح كرمه حقيقة وبرهاناً، قال: ما قصد بذلك، قلت: قرى الوارد

والمالك، وذلك أنه لما نزل إلى قلبه تعينت عليه ضيافة ربه، قال: فهلا أضافه بنفسه دونه، قلت: لم يكن له فيها منازعون ينازعونه، قال: فلم كان الوحي في المنام، قلت: حتى لا يكون للحسن بساحته إلمام.

قال: فلم ابتليناه بالكلمات وقد تلقاها للتوب صاحب السمٰوات، قلت: ألم يقل إن الابتلاء أفضل المقامات، قال: لم أمر إبراهيم وإسماعيل بتطهير البيت للطائفين، قلت: عناية بمحمد سيد المرسلين، قال: فلم لم يكن إلا إسحاق دون غيره قلت: لما لم يكن محمد ﷺ في ظهره، قال: فلمَ دعا لمكة بالبركات، قلت: إذا بورك في الأم بورك في البنات.

قال حين رفع إبراهيم القواعد من البيت لم دعا إسماعيل بالقبول قلت: أظهر النقص ليصح كمال الخليل إذ الواجب على كل نبيه أن يضع من قدره عند قدر أبيه.

الإشارات اليوسفية

قال السالك: ثم خاطبني بلغة يوسف بن يعقوب فقال: ما يقول الفطن المصيب لِمَ قال النسوة: إن هذا إلا ملك كريم، قلت: لاختصاصه عموماً بأحسن تقويم، ثم قال: لم بيع بثمن بخس، قلت: ليعلم أن الإنسان من حيث هو صاحب نقص، فإن غلا ثمنه وعلى، فلصفة زائدة على ذاته حضرتها الملأ الأعلى.

قال: لِمَ جعل الصواع حجاباً، قلت: قرع بذلك لاتصال الأحبة باباً.

الإشارات المحمدية

قال السالك: ثم خاطبني بلغة محمد ﷺ وقال لي: يا من طلب الطريق إليه، ليرث مما كان في يديه، ما تقول في الأفق المبين، قلت: محل كشف المقربين، قال: لما كان التجلي بالأفق قلت: تنبيه على علو الخلق، قال: وما ينطق عن الهوى، قلت: أسرار الاستواء، قال: وفي قسمة الفاتحة، قلت: العبودية الواضحة، قال: فلم اختصت الرحمة بالثناء، قلت: ليتبين من أنت ومن أنا، قال: والملك بالتحميد، قلت: ليصحح التوحيد، قال: فلم وقع الشك في العبادة والعون، قلت: لتميز القدرة عن عجز الكون، قال: لم اختص العبد بنصفها الثاني قلت: ليصح عليها اسم الثاني.

قال: قد ساوى موسى محمداً في الفرقان فكيف صحت له السيادة قلت: لاختصاصه بالقرآن والعبادة، قال: قد شاركه بالعبودية نوح وزكريا الوجيه، قلت: الآخر عبد والآخر عبد ربوبية ومحمد عبد تنزيه.

قال: قد شاركه يحيي في السيادة الفاخرة، قلت: تلك السيادة الظاهرة ولهذا صرح بها في الكتاب المبين، وأخفى فيه سيادة محمد سيد العابدين، ثم صرح على لسانه في الشاهدين، فهذا سيد عموم وهذا سيد رسوم، قال السالك: ثم قيل لي: قف هنا ولا تبرح وإن أعطيت المفتاح فإن شئت فافتح، والحمد لله على ما منح، وصلى على محمد الأغر الأصبح.

قال المؤلف جميع ما في هذه الأسرار من النظم لي سوى أربع أبيات أحدها تسترت عن دهري وأخوه، والثاني ألا فاسقني خمراً وأخوه، وكمل جميعه بمدينة فاس في العشر الأوسط من جمادى سنة أربع وتسعين وخمسمائة وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.